الفصل الثامن

سكان دولة فلسطين

إعداد

أ. د. محمد محمود السرياني

قسم الجغرافيا - جامعة أم القرى

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

obeikandl.com

obeikandl.com

سكان فلسطين ـ الواقع والمستقبل

توطئة:

إن هدف هذه الدراسة هو إلقاء الأضواء على سكان فلسطين. وفلسطين بحدودها التاريخية المعروفة تشكل الشطر الجنوبي الغربي لبلاد الشام، التي تضم - فضلاً عن فلسطين - كلاً من لبنان وسورية والأردن، ومن ثم كانت حدودها البرية مشتركة مع تلك الأقطار، فضلاً عن حدودها مع مصر. فالحدود مع لبنان تبدأ من رأس الناقورة على البحر المتوسط، وتتجه بخط مستقيم شرقاً، ثم ينعطف الحد الفاصل بين القطرين شمالاً بزاوية تكاد تكون قائمة ليطوق منابع نهر الأردن، فيضمها إلى فلسطين في ممر أرضي ضيق، تحده من الشرق سوريا حتى جنوب بحيرة طبرية، ومن هناك تبدأ الحدود مع الأردن عند مصب اليرموك، لتساير بعد ذلك مجرى نهر الأردن، ومن مصبه تتجه الحدود جنوباً عبر المنتصف الهندسي للبحر الميت، فوادي عربة، حتى رأس خليج العقبة. أما الحد مع مصر فهو خط يكاد يكون مستقيماً يفصل بين شبه جزيرة سيناء، وبين أراضي النقب، ويبدأ من رفح على البحر المتوسط إلى طابا على خليج العقبة. وفي الغرب تطل فلسطين على المياه الدولية المفتوحة للبحر المتوسط مسافة تربو على ٢٥٠كم فيما بين رأس الناقورة في الشمال ورفح في الجنوب.

تتألف الأراضي الفلسطينية البالغ مساحتها قرابة (٢٧) ألف كم٢ من ثلاث وحدات جغرافية رئيسة متمايزة، تمتد طولياً من الشمال إلى الجنوب عبر ما يقرب من أربع درجات عرضية، ما بين خطي عرض ٣٠/ ٢٩ (و٢٧/ ٣٣) شمالاً، وتبدأ بالسهل الساحلي في الغرب، وتنتهي شرقاً بأراضي الحفرة الصدعية للأخدود الأردني، وبينهما تمتد مرتفعات وسط فلسطين، التي تشغل

القسم الأكبر من الرقعة الأرضية للبلاد[1] (انظر شكل١).

إن الرقعة الأرضية بحدودها السابقة تنقسم الآن إلى وحدتين سياسيتين منفصلتين هما:

١ - فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م حيث تقوم دولة إسرائيل.

٢ - فلسطين التي بقيت مع العرب بعد عام ١٩٤٨، والتي انضم جزء منها إلى الأردن باسم الضفة الغربية، وآخر إلى مصر باسم قطاع غزة، والتي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م. وبعد مشاريع الصلح بين العرب واليهود قامت بها الدولة الفلسطينية التي سيعلن عن إنشائها في القريب العاجل.

أما السكان الذين يستوطنون هذه البقعة فهم :

١ - اليهود الذين تجمعوا في دولة إسرائيل بعد تفريغها من العناصر العربية، ما عدا شريحة محدودة من العرب بقيت في إسرائيل بعد إنشائها.

٢ - الفلسطينيون الذين يستوطنون الضفة الغربية وقطاع غزة.

٣ - الفلسطينيون في الشتات. فقد نزح عدد كبير من الفلسطينيين بعد حروب العرب مع إسرائيل في أعوام ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢ إلى مختلف الأقطار العربية والأوربية مع تواجد ملموس في الدول العربية المجاورة وخاصة في الأردن وسوريا ولبنان ودول الخليج.

وتمشياً مع الأهداف الموضوعة لهذا البحث سنتناول الحديث عن السكان في الدولة اليهودية أو الدولة العبرية المعروفة باسم دولة إسرائيل (الكيان الصهيوني) وكذلك عن السكان في الدولة الفلسطينية الوليدة. ولابد من مقدمة تبين قيام الدولة اليهودية، وقيام الدولة الفلسطينية، وارتباط ذلك بالأوضاع الديمغرافية التي نحن بصدد دراستها وتوضيحها.

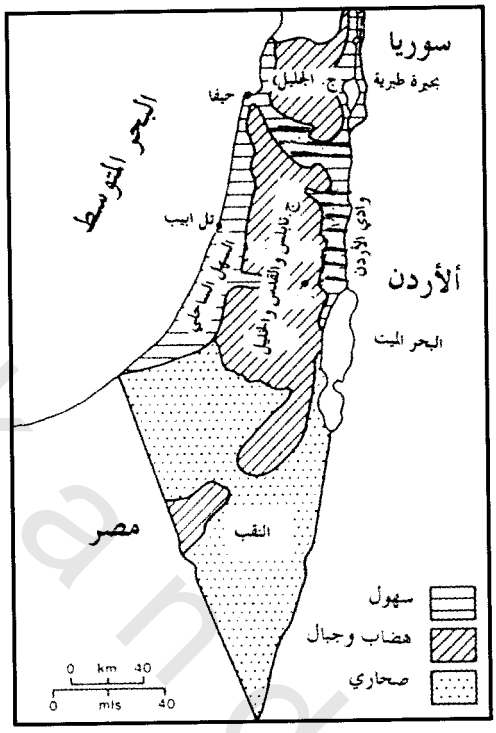

شكل (١) حدود فلسطين وأقاليمها الطبيعية

ستتركز محاور الدراسة على اتجاهات وعوامل النمو السكاني ومعدلاته وخصائص هذا النمو وأبعاده المستقبلية، ثم سنتناول توزيع السكان وكثافتهم وخصائص هذا التوزيع والعوامل المؤثرة فيه. وأخيراً سنلقي الضوء على الجوانب المختلفة للتركيب السكاني وأثر ذلك على الوضع الديمغرافي في المنطقة.

هناك أمران أساسيان لابد من ذكرهما قبل الحديث عن سكان فلسطين.

الأمر الأول يتعلق بالتناقضات الكثيرة في الأرقام والبيانات الإحصائية خاصة بين المراجع الإسرائيلية والغربية عموماً وبين المراجع العربية. وهناك

مبالغات كثيرة هنا وهناك، الأمر الذي يقتضي الحذر الشديد والتمحيص الدقيق عند الاقتباس من هذه المراجع.

أما الأمر الثاني فيرتبط بالتجزئة السياسية التي عاشتها فلسطين خلال القرن الماضي. فقد خضعت للحكم العثماني ثم للانتداب البريطاني، ثم جزئت البلاد وقطعت أوصالها أشلاء بين دولة إسرائيل التي أقامها اليهود في فلسطين المحتلة، وبين الضفة الغربية التي ضمت للأردن، وبين قطاع غزة الذي ألحق بالإدارة المصرية. ونشاهد اليوم إعادة توحيد الضفة والقطاع كنواة لدولة جديدة هي الدولة الفلسطينية، لقد نجم عن كل ذلك مشكلة خاصة ترتبط بالبيانات السكانية. فمصادر هذه البيانات غير موحدة وإحصاءاتها مجزأة، وتختلف سجلات المواليد والوفيات والهجرة بين المناطق المختلفة، فبيانات الضفة الغربية السكانية ارتبطت بالأردن لفترة طويلة، ولم يكن هناك فصل في المعلومات السكانية المتعلقة بالضفة الغربية. وكذلك الحال في البيانات السكانية في قطاع غزة، التي كانت منظمة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين تتولى نشر بعضها، كما تتولى الإدارة المصرية في القطاع إصدار البعض الآخر. وزاد الطين بلة أن احتلت إسرائيل جميع هذه المواقع عام ١٩٦٧، فأصبحت تتولى نشر البيانات الإحصائية بنمط خاص بها. واليوم تحاول السلطة الفلسطينية إعادة ترتيب أوراقها بخصوص البيانات السكانية، وغيرها من البيانات الأخرى. إزاء ذلك كله يجب اعتبار الأرقام والجداول الواردة في هذه الدراسة مؤشرات تعين على تبيان الحقائق، فقد لا تكون الأرقام دقيقة، وقد تختلف هذه الأرقام عن الأرقام في مصادر أخرى، لاختلاف وتنوع المصادر الأولى لهذه البيانات. وقد حاولنا جهدنا أن نعرض الحقائق بموضوعية، فان أصبنا فبنعمة من الله وفضله، وإن أخطأنا فلنا أجر المجتهد.

١ - السكان في الدولة اليهودية (إسرائيل)

١:١ قيام الدولة اليهودية وانعكاساتها على الوضع السكاني :

إن نشوء الدولة الصهيونية في فلسطين لا يمكن مقارنته بنشوء أي دولة أخرى من دول المنطقة. فحقيقة نشوء الدولة اليهودية هو نتاج الفكرة الصهيونية، التي كانت تحلم بإنشاء دولة للشعب اليهودي؛ ولهذا نجد أن فكرة قيام الدولة والتصميم على إنشائها والتخطيط لوجودها كان الشغل الشاغل للحركة الصهيونية العالمية؛ لذلك نجد أن كافة اليهود كانوا يسعون ويدركون أن من واجبهم السعي لدعم وإنشاء هذه الدولة، دون أن يكون لديهم معرفة مسبقة أين تقع حدود هذه الدولة، وما هو النظام الذي سيطبق فيها.

لقد كانت العقيدة اليهودية أهم الدوافع التي ساعدتهم على بناء الدولة. وقد كانت المعاناة التي لقيتها اليهود، والكراهية التي تكنها الشعوب الأوربية لهم عاملاً مساعداً في تقوية الشعور بالوحدة الوطنية[٢].

ترجع الدعوات الأولى لقيام الدولة اليهودية في فلسطين، ومشاريع الاستيطان اليهودي المرافقة لها، إلى بداية التفكير الاستعماري في المنطقة العربية. وتزامنت هذه الدعوات مع ظهور بعض القيادات الرأسمالية والدينية اليهودية التي تدعوا إلى توطين اليهود في فلسطين. وكان ابرز هذه الدعوات دعوة هرتزل، الذي دعا إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م في بال بسويسرا، حيث تبنى المشروع إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد حدد مجموعة من الوسائل لتحقيق هذا الهدف.

استطاعت الجهود الصهيونية الحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧م لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد ساعد الانتداب البريطاني على

ضمان الشرعية للكيان اليهودي في فلسطين، مع تواصل الجهود الصهيونية لخلق الواقع المادي المكون للدولة، والعمل على إحياء التراث اليهودي، لخلق مقومات الشعب للدولة اليهودية القادمة، ثم حاولت الحصول على الأراضي وترسيمها بالقوة لضمان إيجاد عنصر الإقليم للدولة الجديدة، ثم أنشئت المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي تشكل أساس السلطة والحكومة في الكيان المنوي إقامته.

وهكذا يمكن القول بأن الجهود الصهيونية، بالتعاون مع القوى الاستعمارية، استطاعت خلق نواة اجتماعية وجغرافية وسياسية للكيان اليهودي سنة ١٩٤٨م، وتمكنت هذه الجهود من مضاعفة سكان فلسطين من اليهود، بحيث وصل عددهم عام ١٩٤٨ قرابة ٦٥٠,٠٠٠ يمثلون حوالي ثلث إجمالي سكان البلاد آنذاك، ومعظم هؤلاء من المهاجرين من أصول أوربية، وأصبحوا يملكون ٧٪ من أراضي فلسطين.[٣]

في يوم ١٤ مايو (أيار) ١٩٤٨م أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين، وتم عملياً جلاء القوات البريطانية. فأعلنت الصهيونية قيام دولة إسرائيل في اليوم التالي. وقد كان هذا الإعلان هو البداية لقيام حرب ١٩٤٨ التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية، وتوقيع اتفاقيات الهدنة في رودس سنة ١٩٤٩م. ونتج عن ذلك أن استولى اليهود على ٧٧٪ من أراضي فلسطين شملت المنطقة الساحلية والمنطقة الشمالية إضافة إلى النقب. وقد أقاموا على هذه الرقعة دولة إسرائيل. وقد بقيت للعرب منطقتان فقط في فلسطين هما الضفة الغربية التي تشمل ثلاث مناطق جبلية هي : جبال نابلس والقدس والخليل، وتقدر مساحتها بـ (٥٦٥٠) كم٢. وقد توحدت مع شرقي الأردن لتكوين المملكة الأردنية الهاشمية بموجب مؤتمر أريحا عام ١٩٤٩م. أما

المنطقة الثالثة فهي قطاع غزة، وهو شريط ساحلي ضيق في أقصى جنوب غرب فلسطين ومساحته (٣٦٤) كم٢. وقد بقي تحت الإدارة المصرية (انظر شكل ٢). ومن الجدير بالذكر أن الضفة الغربية وقطاع غزة قد استولت عليهما إسرائيل بعد حرب عام ١٩٦٧م، إضافة إلى بعض المناطق الأخرى من الدول المجاورة مثل الجولان في سوريا، وسيناء في مصر وجنوب لبنان.

إن الوجود اليهودي في فلسطين الذي تمثل بقيام إسرائيل ككيان سياسي قد تميز بمجموعة من الخصائص نذكر منها:

١ - إن هذا الوجود اليهودي، والذي نتج عن الهجرة والاستيطان، كان يهدف لبناء دولة مستقلة هدفها إحلال شعب محل شعب. فالوجود اليهودي في فلسطين لم يكتف باستغلال الأرض، وإنما عمد إلى مصادرتها من أصحابها بشكل كلي، بغرض استئصال المجتمع الأصلي، لإحلال مجتمع يهودي جديد، بجميع طبقاته، محل المجتمع الأصلي.

ومن هنا فقد أصبح هذا الوجود استيطانياً توسعياً، لم يكتف بالمناطق التي سيطر عليها، ولم يعترف بالحدود التي أقامها، وإنما سعى لتوسيع هذه الحدود ومدها حسب الإمكانيات المتوافرة، معتمداً في المقام الأول على القوة العسكرية. وهذا ما حصل بعد عام ١٩٦٧م.

٢ - إن الكيان الإسرائيلي المقام كان يحاول تبرير شرعيته بالاستناد إلى أسس أيديولوجية وإلى ادعاء ديني، وأن وجود الدولة لا يعتمد فقط على الغزو العسكري، بل على إيمان اليهود بأنهم يشكلون قومية (شعب الله المختار)، وأنهم عادوا إلى بلادهم ليكوّنوا دولتهم التي ستكون مسؤولة عن رعاية شؤون اليهود في العالم أجمع.

إن ادعاءات إسرائيل بالحقوق التاريخية والدينية في فلسطين يمكن دحضها وبطلانها. ويمكن مناقشة هذه النقطة من خلال إظهار أن بني إسرائيل لم يكونوا سكان فلسطين الأوائل، حيث كان يسكنها الكنعانيون العرب قبل مجيء اليهود إليها بقرون، وأن اليهود حين جاؤوا إلى فلسطين كانوا أقلية، وشاركهم في سكناها العرب حتى في ظل أوج ممالكهم في عهد داود وسليمان - عليهما السلام - وإنهم لم يبقوا في فلسطين إلا مدة بسيطة، ثم أخرجوا منها، وإن الوجود العربي والإسلامي بقي فيها مدة خمسة عشر قرناً وبصورة مستمرة، وبهذا يمكن القول بأنه من حيث الأسبقية والاستمرارية كان العرب هم أصحاب الحق التاريخي في فلسطين.

ومن جهة أخرى الإسرائيليون الموجودون الآن ليسوا أحفاد العبرانيين واليهود القدامى، فاليهود اليوم طائفة دينية اجتماعية انضم إليها أجناس مختلفة من البشر في عصور مختلفة، بحيث يصعب وصفهم بالقومية اليهودية. فمنهم الفلاشا الأثيوبية، ومنهم اليهود الأتراك، ومنهم الأوربيون، ومنهم يهود البلاد العربية. ومن المؤكد استحالة انتماء جميع هذه الملل إلى جنس واحد، وبهذا لا يمكن القبول بادعاء الصهاينة أن المهاجرين اليهود الجدد قد عادوا إلى أرض آبائهم.

ومن جهة ثالثة إن قيام دولة إسرائيل يتعارض مع حق الشعب الفلسطيني في أرضه، فقد فرض على هذا الشعب التشرد والتحول إلى لاجئين، مع فقدانهم لأراضيهم التي طردوا منها بالقوة، وحرموا من العودة إليها، وفي الوقت نفسه أعطي الحق لكل يهود العالم بالعودة والاستيطان في فلسطين[٤].

١ : ٢ : النمو السكاني في إسرائيل:

تشير المراجع التاريخية إلى أن عدد سكان فلسطين كان في أواخر القرن

التاسع عشر بحدود (٢٠٠) ألف نسمة[٥]، وعندما دخل الإنجليز إلى فلسطين عام ١٩١٧م قدر عدد سكان البلاد آنذاك بما يقرب من (٦٤٨) ألفاً منهم ٨٩٪ من العرب. ولم تتغير النسبة كثيراً عام ١٩٢٢م حيث أجري تقدير لعدد السكان. فبلغ آنذاك قرابة ثلاثة أرباع المليون نسمة، كان العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من ٨٩٪ من إجمالي السكان في حين لا يتجاوز عدد اليهود ١١٪ فقط[٦] (انظر جدول رقم١).

وخلال فترة الانتداب البريطاني زادت حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين لتحقيق وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. فعندما أجري أول تعداد لسكان فلسطين في نوفمبر عام ١٩٣١م، كان إجمالي عدد السكان يزيد عن المليون نسمة، يشكل العرب قرابة ٨٤٪ من هذا الرقم. ومن هنا نرى زيادة عدد اليهود عن طريق الهجرة. فقد وصل عددهم إلى ما يقرب من (١٧٥) ألف نسمة يشكلون ١٦٪ من إجمالي سكان فلسطين. وفي عام ١٩٤٦م أي قبل سنتين من قيام دولة إسرائيل قدر عدد اليهود بـ (٥٨٣) ألف يهودي يشكلون ٣١٪ من إجمالي سكان فلسطين. وزيادة أعداد اليهود خلال هذه الفترة تعود إلى ظروف الحرب العالمية الثانية، وإلى أوضاع اليهود في ألمانيا، الأمر الذي ساعد على هجرة المزيد من هؤلاء إلى فلسطين. وبهذا نجد أن اليهود قد زاد عددهم بين عامي ١٩٢٢ و١٩٤٧ بمقدار نصف مليون يهودي[٧].

جـدول (١)

تطور عدد سكان فلسطين بين عامي ١٨٨٧و ١٩٩٩م

السنة	إجمالي السكان	عدد العرب	٪	عدد اليهود	٪
١٨٨٧	٢٠٠,٠٠٠	–	–	–	–
١٩١٧	٦٤٧,٨٥٠	٥٧٧,٥٠٠	٨٩	٦٥,٣٠٠	١١
١٩٢٢	٧٥٢,٠٤٨	٦٦٨,٠٤٨	٨٩	٨٤,٠٠٠	١١
١٩٣١	١,٠٣٥,٨٢١	٨٦١,٢١١	٨٤	١٧٤,٦١٠	١٦
١٩٤٦	١,٨٨٠,٠٠٠	١,٢٩٧,٠٠٠	٦٩	٥٨٣,٠٠٠	٣١
١٩٤٧	١,٩٥٠,٠٠٠	١,٣٠٠,٠٠٠	٦٧	٦٥٠,٠٠٠	٣٣
١٩٤٨	٢,١٥١,٠٠٠	١,٣٨٠,٠٠٠	٦٤	٧٧١,٠٠٠	٣٦
١٩٥١	١,٤٩٤,٠٠٠	١٧٠,٠٠٠	١٢	١,٣٢٤,٠٠٠	٨٨
١٩٥٥	١,٧٥٠,٠٠٠	١٩٥,٠٠٠	١٢	١,٥٥٥,٠٠٠	٨٨
١٩٦٠	٢,١٥٠,٠٠٠	٢٣٩,١	١١	١,٩١١,٠٠٠	٨٩
١٩٦٥	٢,٥٦٢,٠٠٠	٢٩٢,٠٠٠	١٢	٢,٢٧٠,٠٠٠	٨٨
١٩٧٠	٣,٠١٢,٢٠٠	٤٢٢,٠٠٠	١٤	٢,٥٩٠,٠٠٠	٨٦
١٩٧٢	٣,٢٠٠,٥٠٠	٤٧٦,٩٠٠	١٥	٢,٧٢٣,٦٠٠	٨٥
١٩٨٢	٤,٠٦٣,٦٠٠	٦٩٠,٤٠٠	١٧	٣,٣٧٣,٢٠٠	٨٣
١٩٩٥	٥,٥٠٠,٠٠٠	٩٩٠,٠٠٠	١٨	٤,٥١٠,٠٠٠	٨٢
١٩٩٩	٦,١٠٠,٠٠٠	١,٠٩٨,٠٠٠	١٨	٥,٠٠٢,٠٠٠	٨٢

المصدر :

١ – أرقام ١٨٨٧–١٩٣٦ من محمد السيد غلاب وزميله ص ٣٣٥.

٢ – أرقام ١٩٤٦–١٩٤٨ من Orysdale.

٣ – أرقام ١٩٥٤–١٩٨٢ من حسن عبدالقادر نقلاً Statistical Abstract & Israel No. 34 (1983).

٤ – أرقام ١٩٩٥–١٩٩٩ من World Population Date sheet, 1995 - 1999.

٥ – نسبة العرب في إسرائيل منذ عام ١٩٨٢ من إبراهيم أبو جابر ص ٤٢٧ – ٤٣٠.

في عام ١٩٤٨ أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين، بعد أن سلمت اليهود أمور البلاد. وقد انتهز هؤلاء الفرصة وأعلنوا دولتهم الصهيونية على تراب فلسطين كما ذكرنا آنفاً. وقد كان من جراء ذلك أن قام اليهود أثناء حرب ١٩٤٨م بطرد حوالي (٢٠٠) ألف فلسطيني. وعندما وقعت إسرائيل على الهدنة عام ١٩٤٩م قاموا بطرد (٧٠٠) ألف فلسطيني آخر. وهكذا أفرغت فلسطين المحتلة من معظم سكانها العرب ولم يبق بها سوى (١٧٠) ألفاً من الفلسطينيين في المناطق التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨م. أما الباقي فقد هاجر إلى الضفة الغربية وإلى قطاع غزة وإلى الدول العربية المجاورة. وقد استقبلت الأردن نحو نصف هؤلاء اللاجئين، بينما استقبلت مصر، وعلى وجه الخصوص قطاع غزة استقبل حوالي ٢٠٠ ألف، أما لبنان وسوريا فقد استقبلتا (١٠٠) ألف و(٧٥) ألف على التوالي[٨].

لقد لجأت إسرائيل إلى إقرار قانون العودة، والذي يضمن حق المواطنة لكل يهودي يهاجر إلى فلسطين. وشجعت الهجرة من كافة دول العالم إلى إسرائيل. ففي خلال الثلاث سنوات الأولى من قيام الدولة اليهودية وصل إلى فلسطين المحتلة ما يقرب من ثلاثة أرباع المليون يهودي. وبالمقابل عارضت إسرائيل إعادة الفلسطينيين إلى أرضهم وقامت بالاستيلاء على ممتلكاتهم، وتسليمها إلى اليهود المهاجرين. ومع الأسف لم يسمع العالم الصوت الفلسطيني بهذا الخصوص. وقد أعطت الدول الكبرى زخماً لمسألة إنشاء الدولة اليهودية. ورأت هذه الدول أن قيام الدولة مرهون بأن يصبح اليهود أغلبية على الأرض التي يسيطرون عليها. وهكذا أفرغت فلسطين من سكانها العرب لتصبح موطناً وملتقى لكل يهود العالم دون استثناء.

لقد زاد عدد سكان فلسطين المحتلة من جراء الهجرة اليهودية المنظمة

إلى فلسطين. ففي عام ١٩٩٥م ارتفع عدد السكان إلى ١,٧٥٠,٠٠٠ نسمة. وبعد عقد من الزمن أصبح العدد ٢,٥ مليون نسمة، وذلك عام ١٩٦٥م. وقد وصل عدد السكان عام ١٩٩٥م إلى ٥,٥ مليون نسمة. ويزيد عددهم الآن عن ٦ ملايين نسمة (انظر جدول رقم ١) ٨٢٪ منهم من اليهود قدموا من ١٠٢ دولة من دول العالم. وتبذل السلطات الإسرائيلية جهوداً كبيرة في صهر هؤلاء المهاجرين في البوتقة اليهودية، وزرع الولاء للدولة اليهودية، وتعلم اللغة العبرية، التي لا تزال غير معروفة بالنسبة لكثير من هؤلاء المهاجرين. (٩)

١ : ٢ : ٢ المواليد :

تعتبر معدلات المواليد لدى اليهود أقل من مثيلاتها عند العرب، فقد بلغت معدلات المواليد عام ١٩٥٠ (٣٢) بالألف، انخفضت عام ١٩٧٠ إلى ٢٤ بالألف، وفي عام ١٩٨٠ انخفضت إلى ٢٢ بالألف(١٠). ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم (١٩٩٩م) لم تزد نسبة المواليد عن ٢١ بالألف إلا نادراً. ولا شك أن ضبط النسل الذي تمارسه الأسرة اليهودية، إضافة إلى انخفاض حالات الزواج، وارتفاع حالات الطلاق، من شأنه أن يجعل معدلات الخصوبة منخفضة، وبالتالي فإن عدد المواليد محدود نسبياً، فمعدل الخصوبة الكلية للمرأة اليهودية لا يتجاوز ٢,٩ عام ١٩٩٩م.

يختلف وضع اليهود من حيث المواليد بحسب مكان قدومهم الأصلي. فاليهود الغربيون خصائصهم الديمغرافية أقرب إلى الخصائص الديمغرافية للشعوب المتقدمة حيث تتدنى لديهم نسبة المواليد. أما اليهود الشرقيون فإن خصائصهم الإنجابية مماثلة لخصائص الشعوب النامية. غير أنه على العموم يمكن القول إن معدل المواليد عموماً لدى اليهود أقل بكثير مما هو موجود لدى الفلسطينيين العرب (انظر جدول رقم ٢).

١ : ٢ : ٣ الوفيات :

تتدنى نسبة الوفيات لدى السكان اليهود لتصل إلى معدل لا يتجاوز ٦-٧ بالألف خلال نصف القرن الماضي. وهذا المعدل يضاهي في انخفاضه معدلات الدول المتقدمة. وأكبر دليل على ذلك انخفاض معدلات وفيات الأطفال إلى الحدود الدنيا، بحيث أصبحت تماثل المعدل العام للوفيات لجميع فئات السن. ويدل هذا التناقص المستمر لمعدل وفيات الأطفال اليهود على مدى الرعاية الصحية الكبيرة التي يتمتع بها هؤلاء الأطفال. ولا شك أن ضبط النسل الذي تمارسه الأسرة اليهودية، والذي ينجم عنه عدد محدود من الأطفال يؤدي إلى مزيد من الرعاية الصحية والغذائية للطفل، الأمر الذي يقلل من فرص وفيات الأطفال بشكل عام. (انظر جدول رقم ٢).

جدول رقم (٢)

المواليد والوفيات والخصوبة إسرائيل في من ١٩٥٠ - ١٩٩٩م

السنة	المواليد	الوفيات	وفات الأطفال	الخصوبة الكلية
١٩٥٠	٣٢	٦,٥	٤٦	٣,٩
١٩٧٠	٢٤,٢	٧,٣	١٩	٣,٤
١٩٨٠	٢٢	٧,٥	١٢	٢,٨
٩٥ - ٩٩	٢١	٦ - ٧	٦	٢,٩

المصدر:

١ - بيانات ١٩٥٠ - ١٩٨٠ حسن صالح - سكان فلسطين ص ٤٨ - ٤٩.

٢ - بيانات ٩٥ - ١٩٩٩ World Population Data Sheet

١ : ٢ : ٤ مستقبل النمو السكاني :

استناداً إلى الفروق بين المواليد والوفيات خلال السنوات الخمس الماضية (٩٥ - ١٩٩٩) تتراوح الزيادة الطبيعية بين ١٥ - ١٦ بالألف. وهي زيادة محدودة إذا ما قورنت بالزيادة السكانية في المناطق العربية المجاورة أو في الزيادة السكانية لعرب إسرائيل. إن هذه الزيادة السكانية الطبيعية تحتاج معها إسرائيل إلى مدة تتراوح بين ٤٥ - ٤٧ عاماً حتى يتضاعف عدد سكانها. وهذا لا شك يقلق الكيان الصهيوني الذي يحرص على بذل كل ما من شأنه زيادة معدلات الزيادة الطبيعية والهجرة اليهودية؛ لأن عملية النمو السكاني تمثل جوهر الصراع الديمغرافي بين العرب واليهود.

إن مستقبل الزيادة السكانية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، والاحتمالات المتوقعة لها. هذه الهجرة ترفع نسبة الزيادة السكانية إلى ٤٠ بالألف سنوياً. وهذا يعني أن متوسط الزيادة الناجمة عن الهجرة هي في حدود ٢٤ بالألف. وتلعب الظروف الخارجية دوراً بارزاً في زيادة الهجرة اليهودية، ويرتبط بهذه الظروف أعداد اليهود وأوضاعهم العامة في دول العالم المختلفة، كما أن الظروف السياسية والدولية لها دور بارز في هذا المجال. وهناك عوامل داخلية ترتبط بالظروف السياسية والعسكرية للكيان الصهيوني، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود في فلسطين المحتلة، والحالة النفسية وعقدة الأمن التي تهيمن على السكان هناك.

يقدر عدد اليهود في العالم بحوالي ١٨ - ١٩ مليون يهودي. تستأثر الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأقطار أمريكا الجنوبية بما يوازي ٤٥٪ منهم. بينما يعيش ٢٨٪ منهم في فلسطين المحتلة. ويتوزع ١٨٪ في أقطار أوربا الشرقية بما فيها روسيا الاتحادية وأقطار الاتحاد السوفيتي السابقة، ويقيم

في أوربا الغربية قرابة ٥٪ من يهود العالم. وفي الدول الأفرو آسيوية قرابة ٢٪. ويتوزع الباقي على جهات العالم المختلفة.

ومما يسترعي الانتباه أن القارتين الإفريقية والأسيوية تكادان تكونان خاليتين تماماً، بعد الهجرات الكبيرة التي تمت من البلاد العربية وبعض الأقطار الإفريقية؛ لذا فإننا نستبعد هذه المناطق عند النظر إلى مصادر الهجرة اليهودية في المستقبل. أما مركز الثقل المستقبلي الكامن للهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة فهو في الأمريكيتين وأوربا الشرقية بما فيها روسيا. وتشير الدلائل إلى أن أوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية ممتازة في الولايات المتحدة وكندا، مما يجعل تيار الهجرة ضعيفاً، بالرغم من الجهود الحثيثة التي تبذلها المنظمات الصهيونية لتشجيع الهجرة من هذه الأقطار إلى فلسطين المحتلة. أما في أمريكا اللاتينية فهناك احتمالات كبيرة لقدوم المهاجرين اليهود للتخلص من الصعوبات المحلية السياسية والاقتصادية التي يواجهونها في أقطار أمريكا اللاتينية.

وإذا قارنا بين أوضاع اليهود المعيشية في كل من أوربا الشرقية وأوربا الغربية يتبين لنا أنهم يتمتعون بحرية سياسية واقتصادية في أوربا الغربية أكثر بكثير من بلدان أوربا الشرقية. وقد ساعد انهيار الاشتراكية في هذه الدول على تردي الأوضاع العامة للسكان جميعاً، الأمر الذي يساعد على زيادة تيار الهجرة من هذه الأقطار، وخاصة من المناطق التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي قبل انهياره؛ لذا تركز المنظمات اليهودية على تشجيع الهجرة من هذه الأقطار إلى فلسطين المحتلة. وستبقى هذه الأقطار الرافد الكبير الذي يساعد على زيادة التواجد اليهودي في فلسطين المحتلة.

أما اليهود في أقطار أوربا الغربية فيعيشون في مستويات اقتصادية

عالية؛ لذا فمن المتوقع أن لا يهاجر من يهود غرب أوربا سوى نسبة ضئيلة في المستقبل، حيث يتركز معظم هؤلاء في بريطانيا وفرنسا، وهم من الأثرياء ذوي النفوذ في بلادهم.

تؤثر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود المقيمين في فلسطين المحتلة على حركة الهجرة اليهودية إلى البلاد. فالأزمات الاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع اليهودي، والتي ينجم عنها حدوث البطالة، وزيادة الضرائب، وارتفاع الأسعار، وانخفاض الأجور، وأزمات السكان تؤثر سلباً على تيار الهجرة؛ لذا تشجع وكالات الهجرة حركة القدوم إلى فلسطين المحتلة، وذلك بتقديم التسهيلات الكثيرة لهؤلاء المهاجرين، حيث تقوم بتوفير فرص العمل، وقروض السكن، والإعفاءات الجمركية، والإعانات المالية بهدف جلب المزيد من المهاجرين.

وتتأثر حركة الهجرة بالأوضاع الأمنية في إسرائيل. وبعض هؤلاء يعيش في قلق نفسي، وخاصة إذا أسكن هؤلاء في المناطق الحدودية، حيث يشعر هؤلاء بأنهم عرضة لضربات رجال المقاومة العرب في أي وقت؛ لذا يلجأ العديد منهم إلى الهجرة من إسرائيل، إما عائداً إلى بلاده، أو يختار أحد الأقطار الأوربية أو الأمريكية كوطن بديل. ومن المتوقع في ظل محادثات السلام، وتوقيع المعاهدات الأمنية مع الدول المجاورة من العرب، أن يزداد تيار الهجرة الوافدة إلى فلسطين في العقود الثلاثة القادمة.

١ : ٣ توزع السكان وكثافتهم :

١ : ٣ : ١ التوزيع: تنقسم فلسطين المحتلة إدارياً من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاثة قطاعات هي: القطاع الشمالي الذي يضم منطقة جبال الجليل في

الشمـــال والأراضي المطلـة على نهر الأردن وبحيـرة طبـريا، ثم منطقـة حيفـا وهي المنطقـة الساحليـة المقابلة. أما القطاع الأوسط فيضم الشريط الساحلي المعروف باسم منطقـة تل أبيب - يافا، يليه نحو الشرق المنطقـة الوسطى التي تقـع بين مرتفعـات جبـال نابلس والقدس في الضفـة الغـربيـة وبين سـهل تل أبيب - يافـا، ويلحق بهـذا القطاع منطقـة القـدس المحـتلة. ويضم القطاع الجنوبي منطقـة صـحـراء النقب، التي تشكل قـرابة نصف مسـاحـة فلسطين المحـتلة، والتي تمتـد بين سـيناء غـرباً، ومنحـدرات البـحـر الميت ووادي عـربة شرقاً. (انظر شكل رقم ٢).

لقـد تأثر توزع السكان اليـهـود في فلسطين المحـتلة بظروف الهـجـرة الاسـتيطانيـة، حيث بدأ تركـز السكان في المناطق المحيطة بتل أبيب، التي أنشئت كقاعدة للاستيطان والهجرة اليهودية منذ عام ١٩٠٩م. وقد انعكس ذلك على زيادة الكثافة السكانية في هذه المنطقة التي تعرف بمنطقة يافا - تل أبيب والتي تضم قـرابة ٢٥٪ من سكان الدولة اليـهـودية. وتأتي في المرتبـة الأولى بين المناطق الإدرايـة من حـيث عـدد السكان. وتشكل منطقـة النواة الرئيسة ومركز الثقل السكاني في البلاد.

تأتي المنطقـة الوسطى في المرتبـة الثانيـة من حيث عدد السكان، حيث تضم قـرابة ٢٠٪ من إجـمـالي السكان العـام. وتشكل هذه المنطقـة الظهـيـر الجغـرافي لمنطقة تل أبيب - يافا، وهي مـركز النشـاط الاقتصادي وخـاصـة المنشآت الصناعية والزراعية. ومعظم السكان هنا هم من المهاجرين الأوربيين الذين يشكلون الطبقـة العليا في المجتمع الإسرائيلي. فإذا ما أضفنا إلى هؤلاء منطقـة القـدس التي تضم قـرابة ١٥٪ من سكان فلسطين، أدركنا أن القطاع الأوسط يضم قرابة ٦٠٪ من إجمالي الدولة اليهودية.

أما القطاع الشمالي الذي يضم كلاً من منطقة الجليل في الشمال ومنطقة حيفا الساحلية فيستأثر بما يقرب من ٢٥٪ من إجمالي سكان البلاد. وتمتاز هذه المنطقة بأن ما يقرب من ثلثي سكانها هم من العناصر العربية، التي لم تغادر فلسطين عام ١٩٤٨م.

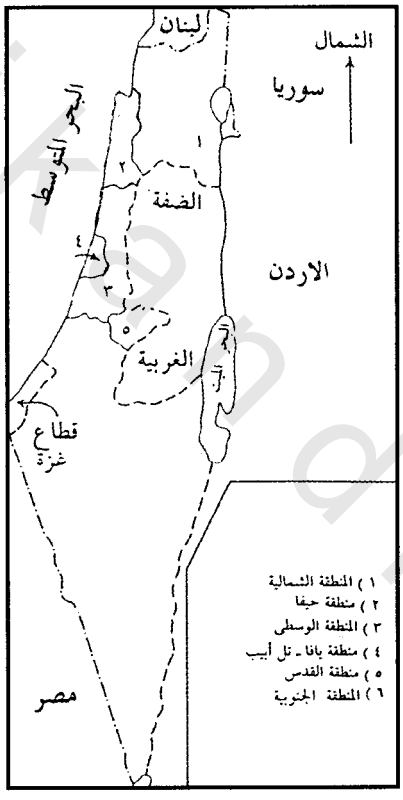

شكل (٢) المناطق الإدارية في فلسطين المحتلة

أما القطاع الجنوبي المعروف بالنقب فلا يزال قليل السكان. وتبذل الحكومة الإسرائيلية جهوداً كبيرة لإيجاد نوع من التوازن السكاني بين المناطق

الإدارية، وذلك عن طريق تشجيع الهجرة والاستيطان في منطقة صحراء النقب، بغرض إعمارها، كما تشجع على الاستيطان في منطقة القدس لأسباب دينية وسياسية.

شكل المناطق الإدارية:

١ : ٣ : ٢ الكثافة السكانية:

تبلغ الكثافة العامة للسكان في فلسطين المحتلة عام ١٩٩٩م قرابة ٣٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع، وهذا يعني أن فلسطين المحتلة تعد من بين أعلى بقاع العالم كثافة سكانية. ويعود السبب في هذا الاكتظاظ السكاني إلى جلب قسم كبير من يهود العالم لاستعمار فلسطين، حيث تقدر نسبة اليهود في فلسطين بحوالي ثلث السكان اليهود في العالم، وإذا استعرضنا الكثافة السكانية على مستوى المناطق نجد أن هناك تبايناً بين منطقة وأخرى، حيث تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع في منطقة مثل تل أبيب - يافا، وإلى ٧٥٠ نسمة في المنطقة الوسطى، بينما لا تزيد في النقب عن ٧٦ نسمة في الكيلو متر المربع. (انظر شكل ٣).

١ : ٤ التركيب السكاني:

سكان أي قطر ليسوا مجرد عدد فقط، بل هم مجموع ذكوره وإناثه، من مختلف فئات السن، ومن مختلف المهن والحرف؛ ولذلك لابد من دراسة السكان من حيث توزيعهم بين الذكور والإناث، وتوزيعهم على مختلف فئات السن، وتوزيعهم بحسب المهن والحرف. ودراسة توزعهم بين الريف والحضر وانقسامهم إلى طوائف دينية أو عرقية أو لغوية. وسنتحدث فيما يلي بإيجاز عن بعض جوانب التركيب السكاني بهذا الخصوص.

١ : ٤ : ١ التركيب النوعي:

إن أي مجموعة سكانية تنقسم إلى قسمين : ذكور وإناث. وتحسب نسبة الذكور إلى كل مائة من الإناث، وهذه تسمى نسبة النوع أو التركيب النوعي. وهذه النسبة تحسب بالنسبة للسكان عامة، أو بالنسبة لكل فئة من فئات السن، أو فئات المجتمع الدينية والعرقية وعندئذ تصبح ذات دلالة وأهمية خاصة.

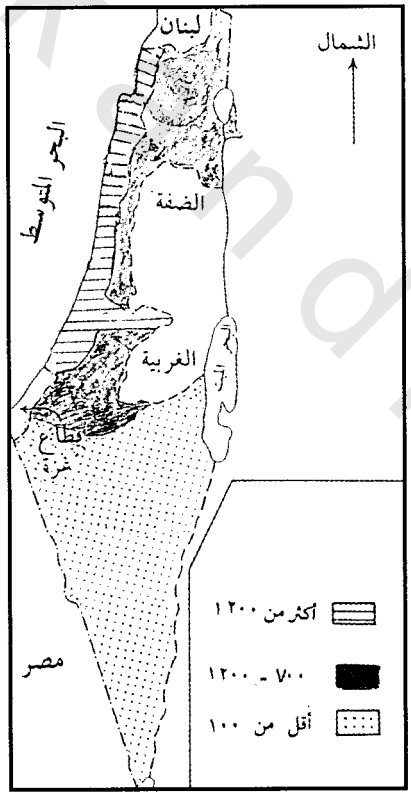

شكل (٣) الكثافة السكانية في فلسطين المحتلة

ترتفع نسبة النوع في الغالب لدى الأقطار التي تشجع الهجرة الوافدة إليها. ولما كانت إسرائيل من المناطق التي تقوم على تشجيع الهجرة؛ لذا نجد أنها تجتذب عدداً كبيراً من المهاجرين الذكور في بداية الأمر، مما يرفع نسبة النوع إلى ما يزيد عن (١١٠) ٪ أي أن هناك قرابة (١١٠) ذكر مقابل كل ١٠٠ أنثى؛ ومما يساعد على رفع نسبة النوع أن قوانين الهجرة اليهودية إلى فلسطين تشترط أن يتم اختيار ٨٠٪ من المهاجرين من بين أعضاء منظمات الشبيبة، ومن الأفراد الذين يقبلون العمل في الزراعة، ومن العائلات التي لا يزيد سن عائلها عن الخامسة والثلاثين. ومن الطبيعي أن هذه الهجرة الانتقائية تنعكس على وضع المجتمع اليهودي بشكل عام، وعلى أوضاع نسبة النوع بشكل خاص سيما وأن هجرة الأسر تبدأ بهجرة الذكور أولاً، ثم ما يلبث أفراد الأسرة الآخرون اللحاق برب الأسرة. وهذا النمط العام من الهجرة يجعل نسبة النوع ليست ثابتة أو منتظمة. كما يجعلها تختلف بين مجموعة وأخرى وبين سنة وأخرى. وفي كل الأحوال تتفوق نسبة الذكور بشكل ملحوظ على نسبة الإناث في مجتمع المهاجرين اليهود، وتنعكس بالتالي على كافة أفراد المجتمع اليهودي في فلسطين.

١ : ٤ : ٢ التركيب العمري :

يظهر الجدول رقم (٣) توزيع السكان اليهود على فئات السن الرئيسة. ومنه يظهر أن ٢٩٪ فقط من إجمالي السكان في فئات السن الصغيرة، دون الـ ١٥عاماً و أن قرابة ٦١٪من ذوي النشاط الاقتصادي، وتتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٦٤ عاماً، وأن ما تبقى وهو ١٠٪ هم من الفئات الهرمة. إن الهرم السكاني يشبه إلى حد كبير أهرامات الدول الأوربية، التي وصلت إلى مرحلة النضج أو الكهولة حيث يمتاز هذا الهرم بقاعدة ليست عريضة، وأن جوانبه

ترتفع رأسياً، قبل أن تصل إلى فئات السن العليا أي إلى قمة الهرم، ومعنى هذا تركز السكان في فئات السن الوسطى، أي في الفئات القادرة على العمل ما بين ١٥-٦٤عاماً، كما ترتفع لدى هؤلاء السكان أعداد المسنين، وهذا نتيجة طبيعية لانخفاض معدلات الوفيات من جهة، وانخفاض معدلات المواليد، إضافة إلى هبوط نسبة الإنجاب من جهة أخرى[١١]

جدول رقم (٣)

فئات العمر الرئيسة في إسرائيل عام ١٩٩٩م

فئات العمر	النسبة
أقل من ١٥ سنة	٢٩
١٥ - ٦٤	٦١
٦٥ فأكثر	١٠
الإجمالي	١٠٠

المصدر : world Population Data Sheet 1999

١ : ٤ : ٣ التركيب المهني :

لقد انعكس الهرم السكاني على إجمالي القوى العاملة في البلاد، التي بلغت على سبيل المثال عام ١٩٩٢م قرابة ١,٨٦٠,٠٠٠ نسمة منهم أكثر من مليون نسمة من الذكور، والباقي من الإناث. ويعمل أكثر من ٣٠٪ من هؤلاء في مجال الخدمات العامة، كما يعمل أكثر من ٢٣٪ في مجال الصناعة والمناجم. و٢٢٪ في قطاع التجارة والمال، وبالرغم من أن الزراعة متقدمة جداً في

إسرائيل إلا أنها لا تستوعب سوى ٦٪ من إجمالي القوى العاملة في البلاد. ويعود السبب في ذلك إلى أن الزراعة تعتمد اعتمادا كلياً على الميكنة والطرق الحديثة في الزراعة، التي تميل إلى استخدام الآلة أكثر من الجهد العضلي. وتتوزع باقي النشاطات الاقتصادية على قطاعات التشييد والبناء وأعمال النقل والتخزين والعاملين في المرافق العامة (كهرباء، ماء، غاز ...)[١٢].

١ : ٤ : ٤ التركيب التعليمي :

تشير الإحصاءات السكانية أن نسبة الأمية في الدولة العبرية لا تتجاوز عدد السكان الذين تتجاوز أعمارهم ١٥ سنة مقدار ٤,٩٪ لأجمالي السكان عام ١٩٨٥م. وتتفاوت نسبة الأمية ما بين الذكور والإناث، ففي حين لم تتعد نسبة الأمية ٤٪ فقط لدى الذكور كانت عند الإناث بحدود ٦,٦٠٪ عام ١٩٨٥م. ونلمس تفاوتاً في نسبة الأمية بين المناطق الحضرية حيث تتدنى إلى أدنى مستوياتها، في حين ترتفع في المناطق الريفية لتصل إلى ١٠ - ١٢ ٪[١٣].

جدول رقم (٤)

مؤشرات التعليم في فلسطين المحتلة عام ١٩٩٣م

المرحلة التعليمية	عدد المدارس	عدد المعلمين	عدد الطلاب
رياض الأطفال	-	-	٢٩١,٩٠٠
المرحلة الابتدائية	١,٢٢٨	٤٣,٣٢٩	٥٢٣,٧٥٥
مدارس متوسطة وثانوية	٩١٨	٤٤,٦٣٨	٣٧٠,٨٢٧
مدارس مهنية	٣٣٤	-	١١١,٨٢٣
تدريب معلمين	-	-	١٧,٧٤٦
أخرى	٢٠٢	٣,٢٨٧	١٢,٠٠٦

- المصدر: الموسوعة العربية ص ٥٥٤ - ٥٥٥.

يظهر الجدول رقم (٤) بعض مؤشرات التعليم لعام ١٩٩٣م. ومنه يظهر أن عدد المدارس الابتدائية يزيد عن ١٢٢٨ مدرسة، يزيد عدد طلابها عن نصف مليون طالب وطالبة. أما المدارس المتوسطة والثانوية فتزيد عن ٩١٨ مدرسة تحوي أكثر من ٣٧١ ألف طالب وطالبة في التعليم الأكاديمي. أما في التعليم المهني (مدارس صناعية وزراعية) فهناك ما يزيد عن ٣٣٤ مدرسة تحوي قرابة (١١٢) ألف طالب وطالبة. ومن الجدير بالذكر أن نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية قد بلغت ٨٤٪ من أجمالي الطلاب و ٩١٪ من أجمالي الطالبات في سن الدراسة. وهي نسبة مرتفعة لا توجد إلا في الدول المتقدمة، ويندر وجودها في الدول النامية. والخلاصة أن المؤسسات التعليمية في فلسطين المحتلة تحوي ما يقرب من ٢,٦٨٢ مدرسة ومؤسسة تعليمية يشرف عليها ما يزيد عن (١٠٠) ألف مدرس، وتضم ما يقارب ١,٣ مليون طالب وطالبة في مراحل الدراسة المختلفة. وتحظى بما يقارب ١٠٪ من الإنفاق العام للدولة العبرية. ونمط التعليم هو نمط غربي. والتعليم الابتدائي إجباري ومجاني من سن ٥ - ١٣، وتركز المدارس الثانوية على التعليم الفني والمهني والزراعي.

١ : ٤ : ٥ التركيب الحضري - الريفي

يتركز السكان في فلسطين المحتلة في الشريط الساحلي الذي يضم قرابة ٧٧٪ من مجموع السكان، وتتركز أعلى الكثافات السكانية في منطقة (تل أبيب - يافا) ثم في سهل سارونه ومنطقة الجليل الأعلى، أما النقب فلا يزال قليل السكان نسبياً.

معظم سكان إسرائيل يستوطنون المدن الكبيرة (تل أبيب - يافا - حيفا، اللد، الرمله، عكا، بيسان، القدس) ويزيد نسبة سكان المدن عن ٩٠٪ من أجمالي سكان البلاد. أما الباقي وهو ١٠٪ فيستوطنون قرى ذات طابع خاص

أسستها الوكالة اليهودية، ومؤسسة الجباية اليهودية، والجمعيات التعاونية اليهودية. ومعظم السكان الريفيين لا يمتلكون الأرض، بل هي مملوكة لهيئات يهودية حتى تمنع الأفراد اليهود من التصرف بها.

والقرى اليهودية على أنواع أهمها الكيبوتز والمؤشاف.

لقد رسمت السلطات اليهودية خطتها لربط المهاجرين اليهود بالأرض وجذبهم إليها، فقد كانت إقامة المستعمرات الزراعية التعاونية جزءاً من مخطط الحركة الصهيونية لاغتصاب فلسطين. كما كانت وسيلة تأمين عمل وسكن للمهاجرين اليهود الذين يصلون إلى البلاد. وقد تطلبت عمليات التوطن الزراعي في فلسطين المحتلة كثيراً من التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، حيث أصبحت القرى منظمة تنظيماً جماعياً وتعاونياً. فهناك المزارع الجماعية المعروفة باسم "الكيبوتز" وهناك القرى التعاونية المشهورة باسم "الموشاف". وهناك فروق بين الكيبوتز والمشاف.

في الكيبوتز الأرض ملكية عامة، ولكنها توزع على المستوطنين بموجب سند إيجار رسمي. وكل ما في الكيبوتز ملكية عامة للدولة. ويوزع العمل على الأفراد حسب احتياجات الجماعة. ويعود كل الدخل في الكيبوتز إلى الجماعة. وتقوم المؤسسات الاجتماعية فيه بتأمين حاجات الأعضاء بالتساوي، حيث توفر الكيبوتز لأعضائها مطالبهم من الأكل والمسكن ووسائل الترفيه، والمدارس والرعاية الصحية. والزراعة في معظم المزارع الجماعية مختلطة. وإن كان نوع أو آخر قد يكون أكثر نمواً، ويمكن للمزرعة الجماعية أن تقوم بتربية الأسماك وأن تنمي بعض الصناعات الحرفية لزيادة الدخل كما يحلو لها. فالقيد الوحيد هو على مساحة الأرض وكمية الماء. ويتراوح عدد سكان الكيبوتز بين ١٥٠٠ و٢٠,٠٠٠ نسمة، كما تتراوح مساحة المزرعة بين ألفين

وعشرين ألف دونم. على أن الكيبوتز ليس تنظيماً اقتصادياً فحسب، بل هو في الوقت نفسه تنظيم عسكري، فقد روعي فيه العامل الاستراتيجي، وهذا العامل يشمل إشراف المستعمرات على المناطق المجاورة، وسهولة الدفاع وتأمين الاتصال والحماية المتبادلة بين الكيبوتزات.

أما الموشاف فهو عبارة عن مجموعة من المزارع الصغيرة، ويقوم العمل فيها على أساس أسري، وتحصل كل أسرة على ما تنتجه أرضها وماشيتها، ويتم البيع والشراء عن طريق الجمعيات التعاونية. ولا يوجد هناك تأجير للأيدي العاملة. وهناك أنواع مختلفة من الموشاف، فبعضها تكون الأرض فيها ملكية عامة كما الكيبوتز، ولكنها توزع بالتساوي على عائلات المستوطنين، حيث تشكل العائلة في هذا النوع من الموشاف وحدة استهلاكية وسكنية مستقلة. وقد أدى ذلك إلى وجود فروق اجتماعية واقتصادية داخل الموشاف. وهناك أنواع أخرى تكون فيها ملكية الأرض للأفراد. ويطلق عليها اسم "القرى التعاونية". وأفراد هذه القرى من الطبقة المتوسطة من المهاجرين ممن كانوا قبل مجيئهم إلى فلسطين يعملون تجاراً وحرفين وموظفين، وهنا تكون الأرض للعمال وصغار المستوطنين. ويمكن للمستوطن تكبير مزارعه بشراء أراضي أخرى، وله الحرية، في اختيار نوع زراعته. وتستوعب هذه المزارع أعداداً كبيرة من العمال، ويمكن فيها إقامة الصناعات الخفيفة.

إن المتمعن في هذه المستوطنات الريفية يرى مجموعة من الناس تختلف عن بعضها البعض من حيث العرف والثقافة والمستوى الحضاري واللغة، وكلها تعيش في بيئة غريبة عنها بزعم أنها أرض الآباء والأجداد بزعمهم، ويجمع بين الجميع استخدام الأساليب العلمية والتكنولوجية المتطورة في الزراعة، بحيث يكون استغلال الموارد البيئية على أفضل صورة، تضاهي ما هو موجود في دول العالم المتقدم[١٤].

١ : ٤ : ٦ التركيب العرقي:

هناك ثنائية يعيشها المجتمع الصهيوني داخل فلسطين المحتلة تتمثل في انقسام اليهود إلى يهود غربيين (أشكناز) ويهود شرقيين (سفارديم). واليهود الغربيون هم المهاجرون القادمون من أوربا وأمريكا. أما الشرقيون فهم القادمون من أقطار آسيا وإفريقيا، وخاصة اليهود القادمون من البلاد العربية.

ولا يقتصر تركيب دولة إسرائيل على اليهود الغربيين والشرقيين، فهناك ثنائية أخرى هي العرب واليهود داخل الدولة اليهودية. وهؤلاء العرب هم ما تبقى من سكان فلسطين بعد عام ١٩٤٨م، حيث لم يغادر هؤلاء بلادهم بل بقوا تحت نير الاحتلال الصهيوني.

١ : ٤ : ٦ : ١ انقسام اليهود إلى شرقيين وغربيين:

من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع الصهيوني داخل فلسطين المحتلة انقسامهم إلى غربيين (أشكناز) وشرقيين (سفارديم). وكما ذكرنا آنفاً فقد قدم اليهود الغربيون من كافة أقطار أوربا وأمريكا. أما اليهود الشرقيون فقد قدموا من مختلف أقطار آسيا وإفريقيا. ومعظم هؤلاء من اليهود الذين كانوا يقيمون في البلاد العربية قبل قيام دولة إسرائيل.

لقد كان المهاجرون الأوائل وبناة إسرائيل من دول أوربا الشرقية، ويمكن القول إن هؤلاء المهاجرين الذين قدموا فيما بين ١٩٠٤ - ١٩٢٣، هم الذين تولوا هندسة بناء الدولة الصهيونية. وقد كان معظم هؤلاء متشبعين بإيديولوجيات الحركة الصهيونية العالمية؛ ولذا فقد طبعوا معظم المؤسسات اليهودية بطابعهم الصهيوني المميز، فقد أقاموا المستوطنات التعاونية

(الكيبوتز) كما أنشؤوا اتحاد العمال اليهود (الهستدروت). وكانت جميع هذه المؤسسات من ترتيبات الحركة الصهيونية العالمية؛ ولذا فقد كان اليهود القادمون من شرق أوربا يشكلون حتى عهد قريب الطبقة العليا في المجتمع الصهيوني.

في عام ١٩٤٨م حينما أنشأ اليهود دولة الصهاينة كان ٩٠٪ من المهاجرين القادمين إلى فلسطين المحتلة من دول أوربا وأمريكا، وقد تلا هذا التاريخ هجرة اليهود من مختلف أقطار الشرق الأوسط بما فيها البلاد العربية، وقد أوجد تيار الهجرة العربية والآسيوية تغييرات جذرية على المجتمع اليهودي، الذي كان في معظمه في السابق من عناصر أوربية وأمريكية متشابهة المنشأ والثقافة، ووجدت الآن مجتمعات متباينة داخل الدولة، ولم تكن هذه الفئات بحماس العناصر الأوربية الأولى، الأمر الذي ساعد على تفكك الروابط القوية بين أفراد المجتمع اليهودي، ونجد اليوم أن أكثر من نصف سكان فلسطين المحتلة من اليهود الشرقيين الذين ولدوا هم أنفسهم في أقطار آسيا وإفريقيا أو ولد آباؤهم على الأكثر.

لقد كان اليهود الشرقيون لا يدركون برامج الحركة الصهيونية العالمية، التي نشأت وترعرعت في وسط وشرق أوربا، ولم يتعرضوا للمذابح التي كانت لليهود الأوربيين، كما لم يعانوا من الكراهية ضد السامية، التي كان يعاني منها نظراؤهم في أوربا وأمريكا، فقد كانوا يعيشون مواطنين على قدم المساواة مع غيرهم من سكان العالم العربي والإسلامي.

إن التوجهات السياسية للحركة الصهيونية كانت نتاج الاضطهاد في أوربا، ولم يكن اليهود الشرقيون يعانون مثل هذا الاضطهاد، ولهذا لم يكونوا يتحمسون في بادئ الأمر إلى قيام المؤسسات الاشتراكية كالقرى التعاونية

الزراعية، أو يميلون إلى الانخراط الكلي في النشاطات الإيديولوجية، والمنطلقات الفكرية للحركة الصهيونية، فإذا أضفنا إلى كل ذلك أن مستواهم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي هو متدن، وأقل بكثير من نظرائهم الأوربيين، الذين قدموا من مجتمعات حضرية، وكانوا ذوي ثقافات عالية، ومعظمهم فنيون ومهنيون أدركنا عمق الفوارق بين هاتين الفئتين من فئات الشعب اليهودي الغاصب.

لقد كان شغل الحركة الصهيونية الشاغل هو دمج هؤلاء في إطار المجتمع اليهودي، ورفع مستواهم الفكري والمادي، وزرع روح المواطنة للدولة الجديدة في نفوسهم، وقد قطعت الحركة الصهيونية شوطاً بعيداً في تخفيف الفوارق، إلا أنها لازالت موجودة في ثنايا المجتمع الصهيوني، فلا يزال التعليم متدن لدى هؤلاء، والمستوى الاقتصادي منخفض، ونوع السكن غير ملائم، وتزداد البطالة بين صفوفهم، كما تزداد نسبة الجريمة لديهم.

ويرى الباحثون أن معاناة هؤلاء ستستمر لبعض الوقت، ويربطون ذلك بالأوضاع الجغرافية لاستيطان هؤلاء، فقد قدم الأوربيون اليهود أولاً إلى فلسطين المحتلة، وقد سكن هؤلاء المناطق الخصبة في السهل الساحلي حول تل أبيب، كما استوطنوا المدن الرئيسة ذات النشاط الصناعي والتجاري، ولما بدأت هجرة اليهود الشرقيين قررت الدولة توزيعهم على المناطق القليلة السكان بهدف احتوائها، والسيطرة عليها، ونزعها من أيدي أهلها الشرعيين. فأجبر هؤلاء على الاستيطان في المناطق الريفية، خاصة في مناطق النقب والجليل الأعلى، حيث يشكل هؤلاء ٨٠٪ من إجمالي السكان، وقد أوجد هذا الاتجاه نوعاً من المواجهة والعراك بين هؤلاء الريفيين، والمجتمع الأوربي من سكان المدن، ويشعر الكثير من هؤلاء أن اليهود الغربيين (الأشكناز) قد قذفوا

باليهود الشرقيين (السفارديم) في المستوطنات البعيدة، حيث المستوى الاقتصادي المتدني، وفرص العمل القليلة، والموارد الطبيعية المحدودة[١٥].

١ : ٤ : ٦ : ٢ الشعب العربي داخل فلسطين المحتلة:

لا يقتصر تركيب دولة إسرائيل على اليهود الغربيين والشرقيين، فهناك ثنائية أخرى هي العرب واليهود داخل الدولة اليهودية، لقد طرد من فلسطين عام ١٩٤٨م قرابة مليون عربي، وقد بقي داخل الأراضي المحتلة ما يزيد عن ١٥٦ ألف نسمة. واستناداً إلى إحصاءات عام ١٩٩٠م فقد وصل عدد هؤلاء إلى ٨٧٥,٠٠٠ نسمة يشكلون قرابة ١٨٪ من إجمالي سكان الدولة العبرية. ويزيد عددهم في الوقت الراهن عن مليون نسمة.

جدول رقم (٥)

توزع السكان العرب في فلسطين المحتلة

المنطقة	النسبة ٪
الجليل	٦٠
المثلث	٢٠
النقب	١٠
المدن المختلفة	١٠
الإجمالي	**١٠٠**

المصدر : جواد الحمد، ١٩٩٩م : ٤٣٠.

يعيش هؤلاء العرب في ثلاث مناطق رئيسة يظهرها الجدول رقم (٥)، وأكبر تواجد لهؤلاء العرب في منقطة الجليل الأعلى في الشمال بالقرب من الحدود اللبنانية، حيث تتركز الغالبية العظمى من هؤلاء خاصة في الناصرة

وعكا وفي القرى الممتدة بين صفد وعكا. وهناك عدد من البدو يعيشون في إقليم النقب، كما يوجد بعض السكان العرب في مدن حيفا ويافا والرمله. وينقسم هؤلاء إلى ثلاث طوائف دينية (مسلمون، نصارى، دروز)[١٦] يظهرها الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦)

توزع السكان العرب في إسرائيل حسب الطوائف الدينية

الطائفة	النسبة ٪
مسلمون	٧٦
نصارى	١٤
دروز	١٠
الإجمالي	١٠٠

المصدر : جواد الحمد، ١٩٩٩م : ٤٢٩

لقد عاش العرب في إسرائيل مواطنين من الدرجة الثانية، بالرغم من أنه أعطيت لهم الجنسية الإسرائيلية وحقوق الانتخاب. ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية هي حركة استيطانية، فوجود العرب في دولة إسرائيل لا يتلاءم والسياسة العامة لإحلال اليهود محل العرب؛ ولذلك مارس اليهود الكثير من الضغوط على هؤلاء، وخاصة وأن اليهود كانوا يشككون في ولاء العرب لدولتهم، ويعتبرونهم طابوراً خامساً وسط الدولة العبرية.

لقد اتبع اليهود سياسة حازمة تجاه عرب فلسطين عام ١٩٤٨، هذه السياسة تقوم على ثلاثة أسس هي:

(١) عزل الأقلية العربية داخلياً وتفتيتها.

(٢) جعل هذه الأقلية تعتمد اعتماداً كلياً على المجتمع اليهودي في الحصول على مواردها الاقتصادية.

(٣) قصر المنافع والفوائد والخدمات على الأفراد الذين يبدون التعاون الوثيق مع السلطة اليهودية.

حتى عام ١٩٩٦ كانت القرى العربية في منطقة الجليل والمناطق الأخرى تعتبر مناطق أمنية، وتدار بالحكم العسكري دون المدني، وبناء على المراسيم العسكرية كان الحاكم العسكري يمنع دخول وخروج المواطنين إلي هذه القطاعات، ويستطيع طرد أي مواطن، والاستيلاء على أية أراض دون محاكمة. وقد خول القانون العسكري تفتيش وسجن واعتقال أي مواطن عربي باسم الضرورات الأمنية ودون محاكمة، أو محاكمة من خلال محكمة عسكرية فقط، وقد منع المسلمون والنصارى العرب من الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، ولم يسمح إلا للدروز بالالتحاق بالجيش الإسرائيلي، ولم يقتصر الأمر على الجيش بل تعداه إلى كافة الوظائف التي لها مساس بالأمن.

وفي إحصاءات خاصة نشرت عن عرب إسرائيل في أواخر الثمانينيات، أن دخل الفرد العربي هو ٧٠٪ فقط من دخل الفرد الإسرائيلي، وفي المناطق الريفية يكون دخل الفرد العربي أكثر انخفاضاً وتدنياً، والمساكن العربية مزدحمة وغير صحية، فمعدل الغرفة الواحدة هو أكثر من ثلاثة أشخاص في ٣٣٪ من مساكن العرب، في حين نجد ٢٪ فقط من مساكن اليهود يسكنها ثلاثة أشخاص، ويمتلك ٦٦٪ من اليهود تلفونات في بيوتهم مقابل ١٣٪ فقط من العرب، وهناك ٣٤٪ من اليهود يمتلكون سيارات خاصة بهم، مقابل ١٣٪ من العرب هم الذين يمتلكون مثل هذه الوسيلة، وبالرغم من أن العرب في إسرائيل هم قرابة سدس السكان، فإن نسبة الأكاديميين منهم هي ١: ٣٠٠،

وهناك تدن واضح في الخدمات البلدية المقدمة للمدن العربية، مقارنة مع الخدمات المقدمة للمدن اليهودية.

وفي السنوات الأخيرة أقدمت إسرائيل على زرع منطقة الجليل بالعديد من المستوطنات الإسرائيلية لتغيير الهوية العربية في المنطقة، وفي إحدى التقارير السرية أنه يجب زيادة الوجود الإسرائيلي ضمن الوسط العربي، عن طريق إنشاء مستوطنات يهودية في المنطقة، وتسهيل هجرة هؤلاء العرب إلى مناطق أخرى داخل إسرائيل، بقصد منع تركز هؤلاء في منطقة واحدة، بحيث تقوى الروابط الوطنية فيما بينهم، الأمر الذي يهدد الأمن الإسرائيلي الداخلي[١٧].

ويمكن القول إن إسرائيل قد استطاعت تحقيق ما يلي ضمن الوسط العربي.

١ - تحويل قوة العمل العربية إلى عمال أجراء في القطاع اليهودي.

٢ - تحويل المجتمع العربي في إسرائيل من مجتمع منتج كان يعتمد على زراعة أرضه واستغلالها إلى مجتمع مستهلك.

٣ - زيادة الهوة بين الوسط العربي واليهودي فيما يتعلق بمستوى المعيشة.

٢ : السكان في الدولة الفلسطينية:

٢ : ١ قيام الدولة الفلسطينية:

لقد أدى وضع الفلسطينيين كلاجئين يعيشون في غير بلادهم إلى إثارة الشعور بالانتماء الوطني والقومي، وإلى ضرورة العودة إلى بلدهم الأصلي فلسطين. وأصبح هذا الشعور يقوى بمرور الزمن. ويلمس المرء هذا الحنين من خلال الشعر والأدب والرسم وحتى أغاني الفلسطينيين أنفسهم.

ويرى البعض أن نمو الشعور الوطني كان ردة فعل للعيش في المخيمات، وأنه إذا تم إعادة توطين هؤلاء اللاجئين في الدول العربية، سيفقد هذا الشعور الوطني الكثير من قوته، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن أكثر أنصار الدولة الفلسطينية هم من طبقة الموظفين، والذين لم يعيشوا في المخيمات. وعليه فالمشكلة ليست مشكلة لاجئين، بالرغم من أن هذه المخيمات تشكل رمزاً وطنياً. فالفلسطينيون ينظرون إلى المشكلة على أنها مشكلة تقرير مصير. فلسان حالهم يطرح التساؤل التالي: كيف يمكن لليهود أن يتوقعوا أن ينسى الفلسطينيون وطنهم خلال نصف قرن، بينما ظل هؤلاء اليهود لديهم الرغبة في العودة لمدة ألفي سنة ؟![18].

خلال الفترة الأولى من اللجوء كان الفلسطينيون غير منظمين سياسياً، وكانوا يأملون أن تقوم الحكومات العربية باسترداد فلسطين. غير أن هذا الأمل تبدد على صخرة الواقع العربي، الذي كان عاجزاً عن إنجاز مثل هذا الأمل. ومنذ منتصف الستينيات طور الفلسطينيون عدداً من المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتماعية. وأهم هذه المؤسسات هي منظمة التحرير الفلسطينية، التي تستخدم كغطاء للعديد من المنظمات التي تهتم بالأمور التربوية والاجتماعية والصحية والثقافية والمالية. وكانت منظمة فتح أبرز المنظمات المؤثرة المكونة لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد تبنى معظم هذه المنظمات خط تحرير الأرض عن طريق القوة العسكرية. وكان دستور منظمة التحرير ينادي بإقامة دولة ديمقراطية في أي جزء من فلسطين يتم تحريره من السلطة الإسرائيلية.

لقد أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية تمثل الحكومة الفلسطينية القائمة فعلياً في المنفى. وقد أصبح لها صفة مراقب في الأمم المتحدة، كما اعترفت بها جميع الدول العربية بأنها الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين.

وأصبح لها ما يزيد عن ٨٣ مكتباً عبر العالم، كما كان لها علاقات رسمية مع أكثر من ١٠٠ بلد. وشكل آخر مهم من تنظيمات الفلسطينيين هو المجلس الوطني الفلسطيني، والذي يمثل شبه برلمان، والذي يشكل أعضاؤه مجموعات مهنية وإيديولوجية. ويمكن القول إن الفلسطينيين قد طوروا البنية التحتية اللازمة للدولة منذ وقت مبكر[١٩].

لقد لعبت ظروف فلسطينية وعربيه ودوليه على إعاقة الاستمرار في النهج الذي تبنته المنظمات الفدائية في تعاملها مع العدو الإسرائيلي، ذلك النهج القائم على قتال إسرائيل، وضرب مصالحها الحيوية، ومهاجمة مواقعها العسكرية، وقد ثبت للعرب عامة والفلسطينيين خاصة بعد حرب عام ١٩٦٧م أن محو إسرائيل من الخريطة ليس أمراً سهلاً، كما كان يعتقد العرب في السابق. وبدأ العرب يفكرون في الحلول السلمية. وقد تبنت مصر مشروع التباحث حول السلام في نوفمبر عام ١٩٧٧. وقد أدت المباحثات اللاحقة في كامب ديفيد عام ١٩٧٨م إلى الاتفاق حول إطارين للسلام: أحدهما يصف العناصر الأساسية لاتفاقية السلام، والتي تم توقيعها خلال ثلاثة أشهر. أما الإطار الآخر فيضع الخطوط العريضة للحكم الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة.

لقد كانت اتفاقية السلام المصرية - الإسرائيلية اتفاقية جزئية؛ لأن كل الدول العربية - عدا مصر - عارضت هذه الاتفاقية، بحجة أنها أهملت القضية الفلسطينية. وبعد أن أمنت إسرائيل حدودها مع مصر، تفرغت لضرب الحركات الفدائية في لبنان، والتي كانت قاعدة قوية للمنظمات الفدائية. وكانت الأراضي اللبنانية تستخدم في بعض الأحيان في شن غارات محدودة على الأهداف الإسرائيلية في فلسطين المحتلة. وفي ٦ يونيو عام ١٩٨٢م اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان، لكسر شوكة منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد حرب شرسة أجبرت المليشيات الفلسطينية على مغادرة لبنان. وقد أضعفت هذه الحرب منظمة التحرير الفلسطينية التي حصرت

أهدافها فيما بعد في السبل السلمية وذلك من أجل كسب التأييد الدولي، كما نقلت مقر أعمالها إلى تونس بعيداً عن الساحة الفلسطينية.

منذ عام ١٩٩٣م جرت مفاوضات سرية وعلنية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، انتهت بتوقيع عدد من الاتفاقيات، التي تنص على وجوب انسحاب إسرائيل من معظم الضفة الغربية وقطاع غزة، وعلى التمهيد لقيام الدولة الفلسطينية التي ستشمل منطقة الضفة الغربية، التي كانت تتبع الأردن منذ عام ١٩٤٩م، والتي احتلتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م، وكذلك منطقة قطاع غزة، الذي كان يخضع للإدارة المصرية، وجرى احتلاله أيضاً عام ١٩٦٧. ومن الجدير بالذكر أن الدولة الفلسطينية الجديدة ستضم إقليمين متباعدين هما الضفة الغربية وقطاع غزة، ويربط بين الإقليمين ممر يمتد عبر الأراضي الإسرائيلية، يوصل مدينة الخليل في الضفة الغربية ومدينة غزة في القطاع بطول ٤٤ كم. ومن المقرر أن يتم الإعلان رسمياً عن قيام الدولة الفلسطينية في نهاية عام ٢٠٠٠م*.

٢ : ٢ النمو السكاني في الدولة الفلسطينية :

نظراً لأن شطري الدولة الفلسطينية المقبلة وهما الضفة الغربية وقطاع غزة عاشا ظروفاً متباينة. فسنتحدث عن النمو السكاني في كل منهما على انفراد حتى يمكننا تتبع التطور العددي في كل منهما:

٢ : ٢ : ١: **الضفة الغربية:** ضمت الضفة الغربية رسمياً إلى الأردن بعد نكبة عام ١٩٤٨م، وقد قدر عدد سكانها آنذاك بـ ٤٠٠ ألف نسمة. وفي عام ١٩٥٢م جرى أول تعداد للمساكن في المملكة الأردنية الهاشمية. وقد قدر عدد السكان في الضفة الغربية بما يعادل ٦٦٧,٠٠٠ نسمة يشكلون ٥٥٪ من إجمالي سكان الأردن. وبعد ١٠ سنوات لاحقة أظهرت أرقام التعداد العام الرسمي للأردن في عام ١٩٦٧م أن عدد سكان الضفة الغربية يقارب

٧٣٠,٠٠٠ نسمة أو ما يقارب ٤٧٪ من مجموع سكان الأردن البالغ ١,٧٠٦,٠٠٠ نسمة، ويعود السبب في تناقص سكان الضفة الغربية النسبي في أوائل الستينيات إلى حدوث هجرة داخلية من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من الأردن. ونزوح أعداد أخرى منهم في هجرة خارجية إلى أقطار الخليج العربي وغيرها من الأقطار الأخرى. إلا أن الزيادة الطبيعية للسكان ظلت تساهم في تعويض هذا التناقص السكاني الناجم عن الهجرة [٢٠].

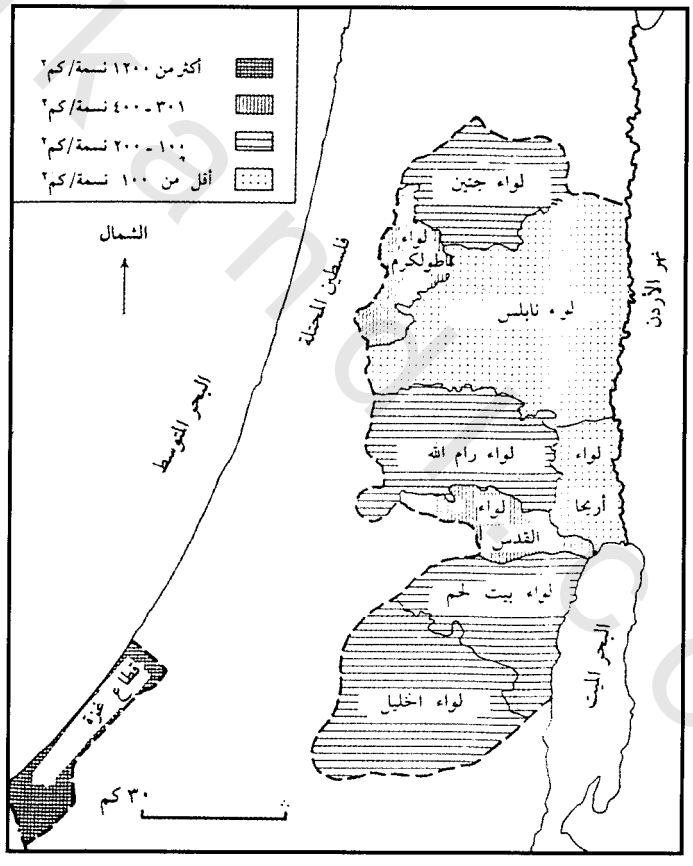

شكل (٤) كثافة السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة

قدر عدد سكان الضفة الغربية عام ١٩٦٦م بنحو ٨٣٠,٠٠٠ نسمة. وفي عام ١٩٦٧ تناقص عددهم إثر حرب حزيران بسبب نزوح السكان إلى الضفة الشرقية، ووفقاً للتقدير الذي أجرته سلطات الاحتلال نهاية عام ١٩٦٨م بلغ عدد سكان الضفة الغربية نحو ٦٥٠,٠٠٠ نسمة. بمعنى أن المنطقة نزح منها ما مقداره ١٨٠,٠٠٠ نسمة. وقد قدرت نسبة التناقص بـ ٢٢٪ من أجمالي السكان. لقد أجبرت إسرائيل سكان الضفة الغربية على النزوح الجماعي بعد الحرب، واتخذ النزوح بعد ذلك طابعاً فردياً أو عائلياً، وذلك من خلال عمليات التهجير القسري لبعض الأفراد لأسباب أمنية، أو ممارسة الضغوط المختلفة لإجبار العائلات على الرحيل خارج الضفة.

استمر نمو السكان معتمداً على الزيادة الطبيعية، غير أن عدد السكان طوال عقد السبعينيات بقي أقل مما كان عليه عام ١٩٦٦م، حيث لم تتمكن الزيادة الطبيعية من تعويض الفاقد عن طريق الهجرة إلا في عام ١٩٨١م، حيث تمكنت الزيادة الطبيعية لأول مرة منذ عام ١٩٦٧م من أن تعوض ما فقدته الضفة من السكان. حيث بلغ سكان الضفة في عام ١٩٨١م ٨٣٣,٠٠٠ نسمة. ومنذ ذلك الحين بدأ سكان الضفة بالزيادة التدريجية فقد ارتفع عدد السكان عام ١٩٩٠ إلى ١,٣ مليون نسمة وفي عام ١٩٩٥ إلى ١,٥ مليون نسمة ويصل عدد السكان الآن (١٩٩٩م) ما يقرب من ١,٩ مليون نسمة (جدول رقم ٧).

جدول رقم (٧)

تطور عدد السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٤٨م

السنة	الضفة الغربية	قطاع غزة
١٩٤٨	٤٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
١٩٥٠	–	٢٨٨,٠٠٠
١٩٥٢	٦٦٧,٠٠٠	–
١٩٦٠	–	٣٥٠,٠٠٠
١٩٦١	٧٣٠,٠٠٠	–
١٩٦٦	٨٣٠,٠٠٠	٤٥٥,٠٠٠
١٩٦٨	٦٥٠,٠٠٠	٣٤١,٠٠٠
١٩٧٥	–	٤٠١,٠٠٠
١٩٨١	٨٣٣,٠٠٠	٤٥٢,٠٠٠
١٩٩٠	١,٣٠٠,٠٠٠	٦١٥,٠٠٠
١٩٩٥	١,٥٠٠,٠٠٠	٩٠٠,٠٠٠
١٩٩٩	١,٩٠٠,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠

المصدر : أ) حسن عبدالقادر صالح - مرجع سابق

ب) World Population Data Sheet 1990 - 1999

٢ : ٢ : ٢ قطاع غزة :

قدر عدد سكان قطاع غزة بعد النكبة في عام ١٩٤٨ بـ ٢٠٠ ألف نسمة، وازداد عددهم إلى ٢٨٨,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٠. وبعد عشر سنوات أي في عام ١٩٦٠ وصل عدد السكان في القطاع إلى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ارتفع بعدها عام ١٩٦٦ إلى ٤٥٥,٠٠٠ ألفاً (جدول رقم ٧).

obeikandi.com

خضع قطاع غزة للاحتلال الصهيوني مثل الضفة الغربية إثر حرب حزيران عام ١٩٦٧م، وأدت الحرب إلى نزوح عدد من سكانه إلى الضفة الشرقية للأردن للاستقرار فيها، كما اتجه بعض السكان للعمل في الأقطار العربية المنتجة للنفط. ونتج عن ذلك هبوط مفاجئ في عدد سكان القطاع، حيث انخفض العدد في عام ١٩٦٨ إلى ٣٤١,٠٠٠، مما يعني أن القطاع فقد نتيجة الاحتلال الإسرائيلي قرابة ١١٤,٠٠٠ نسمة خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨. أو بمعنى آخر فقد القطاع بسبب الهجرة الخارجة ربع سكانه، نتيجة الإجراءات التي اتخذها اليهود لحمل الناس على الهجرة فرادى أو جماعات، ضمن سياسة التهجير القسري. ومن الجدير بالذكر أن معظم النازحين من القطاع كانوا من لاجئي عام ١٩٤٨م، الذين استقروا في القطاع، ثم عاودوا النزوح مرة ثانية.

لقد استغرق القطاع ١٥ عاماً ليتمكن من تعويض أعداد النازحين منه بعد عام ١٩٦٧. ولم يصل عدد السكان إلى مستواه قبل عام ١٩٦٧ إلا بعد عام ١٩٨١ حيث وصل العدد إلى ٤٥٢,٠٠٠ نسمة. ومنذ عام ١٩٨٢ بدأ سكان القطاع بالزيادة التدريجية الناجمة عن الزيادة الطبيعية التي تقاس بفرق المواليد عن الوفيات، فقد قدر عدد السكان في عام ١٩٩٠ بـ ٦١٥,٠٠٠، ارتفع إلى ٩٠٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٩٥، ويصل عدد السكان اليوم (١٩٩٩) إلى ١,٢ مليون نسمة[٢١].

٢ : ٢ : ٣: المواليد:

تعتبر معدلات المواليد في الدولة الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) مرتفعه جداً، لا بل هي من أعلى المعدلات في العالم. وتتراوح هذه المعدلات في قطاع غزة خلال الخمسة سنوات الأخيرة (٩٥ - ٩٩) بين ٤٩ -

٥٥ في الألف أما في الضفة الغربية فتتراوح بين ٣٨ - ٤٥ في الألف. وهذه النسبة أعلى من جميع معدلات المواليد في العالم العربي. ولا نجد نظيراً لها إلا في بعض الدول الأفريقية.

ويرجع ارتفاع نسبة المواليد إلى ارتفاع نسبة الزوجية. وإلى الرغبة الشديدة في الإنجاب نظراً لما تتوقعه الأسر من فقد الأبناء. فما من أسرة فلسطينية إلا وشهدت فقد أحد أبنائها في الحروب المتكررة التي تعرض لها الفلسطينيون. وفي ظل الأوضاع الاقتصادية السيئة يشعر الآباء أن الأبناء هم الخلاص من الفقر، حيث تجد الأسرة في ظل أبنائها الأمن والأمان والابتعاد عن الفاقة والحرمان. وإذا كان اعتماد الأمم على ما تملكه من ثروات فإن عماد الشعب الفلسطيني هو على سواعد أبنائه الذين يشكلون عماد الاقتصاد الفلسطيني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك سببٍ سيكولوجي لزيادة النسل يفرضه الشعور بعدم الأمن والخوف من تكرار الحروب؛ ولذا قالت العرب: "بقية السيف أكثر ولداً" ومؤدى ذلك أن استشعار الحرب يؤدي دائماً إلى زيادة النسل.

فإذا ما أضفت إلى ذلك الأسباب التقليدية التي تؤدي إلى زيادة الإنجاب في المجتمعات العربية، مثل حرص المرأة المتزوجة على الإنجاب؛ لأن هذا يعطيها مركزاً أكثر أمناً لدى زوجها، وكذلك إلى عادات التبكير في الزواج، والإقبال على الإنجاب في سن مبكرة، أدركنا سبب ارتفاع نسبة المواليد لدى الشعب الفلسطيني عموماً.

٢ : ٢ : ٤ الوفيات:

تشهد الوفيات انخفاضاً ملموساً في كل من قطاع غزه والضفة الغربية على حد سواء. فإحصاءات الوفيات للسنوات الخمس الأخيرة (٩٥ - ٩٩)

تشير إلى أن نسبة الوفيات تتراوح بين ٥ - ٧ بالألف، وهي نسبة متدنية جداً إذا ما قورنت بنسبة الوفيات العالمية التي تصل إلى ١٠ بالألف.

أما وفيات الأطفال الرضع ممن هم دون السنة من العمر فقد بلغت نسبة تتراوح بين ٢٧ - ٣٨ بالألف، وهذه النسبة تقارب وفيات الأطفال في الأردن التي تصل إلى ٣٤ بالألف، وتقل كثيراً عن وفيات الأطفال في مصر التي تصل إلى ٥٢ بالألف. وتحصد المنية أربعة أطفال من بين كل ١٠٠ طفل ممن هم دون الخامسة من العمر. ويرتفع أمد الحياة للذكور إلى ٦٨ عاماً بينما هو للإناث ٦٩ عاماً[٢٢].

ربما يرجع السبب في انخفاض معدل الوفيات إلى التحسن المطرد في الخدمات الصحية، ومكافحة الأوبئة، وخصوصاً أمراض الأطفال. وانتشار الوعي الصحي، وإقبال الناس على التطعيم، وتعميم اللقاحات، يضاف إلى كل ذلك ارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعاً مضطرداً، مما أدى إلى نقص وفيات الأطفال، ومن ثم إلى نقص معدل الوفيات بشكل عام.

ولابد هنا من أن نشير إلى أنه بالرغم من تقدم الخدمات الصحية والعلاجية خلال السنوات الماضية، إلا أن انخفاض الوفيات بالصورة الموجودة التي تظهرها الأرقام السابقة مردها إلى عدم دقة بيانات الوفيات. وقصور بيانات الوفيات ظاهرة ملموسة في كل الدول النامية دون استثناء. فبيانات الوفيات في العادة لا تكون شاملة كبيانات المواليد.

٢ : ٢ : ٥ مستقبل النمو السكاني:

استناداً إلى الفروق بين المواليد والوفيات تتراوح الزيادة الطبيعية السنوية بين ٣٤ في الألف في الضفة الغربية و٤٦ بالألف في قطاع غزة. إن الخصوبة

الكلية للمرأة هي في حدود ٧ - ٨ أطفال في قطاع غزة و ٥ - ٦ أطفال في الضفة الغربية. وإذا ترجمنا ذلك إلى واقع عددي ملموس نجد أن سكان قطاع غزة يتضاعفون كل ١٥ - ١٦ عاماً. أما سكان الضفة الغربية فيحتاجون إلى مدة تتراوح بين ٢٠ - ٢١ عاماً. ولا شك أن هذه الأرقام تجعل الدولة الفلسطينية من أكثر الشعوب إنجاباً في العالم. فالمتوسط العالمي لتضاعف عدد السكان هو ٤٠ سنة للدول النامية، أما الدول المتقدمة فقد تصل المدة إلى مئات السنين. وإذا استمرت الزيادة على هذه الصورة فإن عدد سكان الضفة والقطاع سيكون بحدود ٤,٥ مليون عام ٢٠١٠م، يرتفع إلى ٦,٦٠ مليون عام ٢٠٢٥م. أي بعد ربع قرن من الآن.

إن سكان الدولة الفلسطينية يعطون صورة حية لمجتمع انخفضت فيه نسبة الوفيات، بينما لا يزال الناس على عاداتهم القديمة في الإقبال على الإنجاب، مما جعل الفرق كبيراً بين نسبة الوفيات ومعدل المواليد، الأمر الذي يجعل السكان يدخلون إلى المرحلة الانتقالية في النظرية الديمغرافية، وهي مرحلة الانفجار السكاني، مما يعطي صورة حية لشعب مقبل على الحياة، تنتظره تحديات لا حصر لها، في ظل ظروفه الصعبة التي عاشها خلال نصف القرن الماضي.

٢ : ٢ : ٦ الهجرة وحركات النزوح الفلسطيني:

لم يشهد التاريخ الحديث عملية استبدال كاملة للسكان الأصليين وأصحاب الأرض الشرعيين، بأجناس من الدخلاء، من مختلف أقطار العالم، كما جرى في فلسطين، منذ بداية القرن العشرين. حيث انقلبت المعادلة الديمغرافية رأساً على عقب، بشكل أحال الأقلية اليهودية إلى أكثرية ساحقة،

وأفرز في الوقت ذاته ظاهرة فريدة من نوعها من حيث التصنيفات السكانية، ألا وهي ظاهرة اللاجئين الفلسطينيين الذين اتسمت قضيتهم بالديمومة والخطورة.

فمن المعلوم أن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م أدت إلى تشريد حوالي ٩٤٠,٠٠٠ فلسطيني من ديارهم، كما ورد في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة لعام ١٩٤٨م. لقد استقبلت الأردن نصف هؤلاء اللاجئين، واستوطن معظم هؤلاء في عشرين مخيماً في الضفة الغربية، وعشر مخيمات في الضفة الشرقية، فيما استوطن الباقي في كافة المدن الأردنية آنذاك (القدس، نابلس، الخليل، أريحا، عمان، الزرقاء، إربد).

أما مصر التي بسطت سلطانها على قطاع غزة فقد استقبلت حوالي ٢٠٠ ألف مهاجر استوطنوا في ثماني مخيمات إضافة إلى مدن القطاع (غزة، خان يونس، وغيرها). وهناك ما يقرب من ١٠٠ ألف لاجئ نزحوا إلى لبنان و٧٥ ألفاً آخرين نزحوا إلى سوريا. وقد استوطن هؤلاء ١٣ مخيماً في لبنان و١٠ مخيمات في سوريا، إضافة إلى المدن السورية واللبنانية.

لقد ظن هؤلاء اللاجئون أن رحلة العودة لن تطول، وأن الغربة التي شملت ثلثي الشعب الفلسطيني هي لأسابيع أو شهور قليلة، غير أن هؤلاء وجدوا أنفسهم في غفلة من الزمن، وجهاً لوجهه مع وحشة الغربة والتشرد التي طال أمدها، وتضاءل أمل العودة، فبدأ العديد من هؤلاء يتركون المخيمات ليبحثوا عن وسائل العيش في المدن. وكانت النتيجة أن ٣٥٪ فقط من هؤلاء اللاجئين بقوا في المخيمات، بينما انتقل ٦٥٪ منهم إلى القرى والمدن في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي الأردن وسوريا ولبنان. وهاجرت أعداد كبيرة من هؤلاء إلى مختلف أقطار العالم العربي وخاصة دول النفط، كما غادر الباقون

إلى أقطار أوربا وأمريكا، وأصبح هؤلاء جميعاً يشكلون الشتات الفلسطيني في الغربة. (Diaspora).[٢٣]

لم يقف الأمر عند هذا الحد، ففي عام ١٩٦٧م وبعد حرب الأيام الستة، واحتلال إسرائيل لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة تمخض عن ذلك نزوح ما يزيد عن ٣٥٠,٠٠٠ فلسطيني، نصفهم من اللاجئين القدامى، الذين استوطنوا قطاع غزة أو الضفة الغربية منذ عام ١٩٤٨م. وقد ترك هؤلاء مناطق الضفة والقطاع وعبروا الحدود إلى الأردن. كما عبر مع هؤلاء مهاجرون جدد ممن شردوا لأول مرة من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد استوطن جمع هؤلاء في مخيمات جديدة أعدتها وكالة الغوث الدولية. ويطلق على هؤلاء مسمى " النازحين " لتمييزهم عن اللاجئين الذين تركوا ديارهم بعد عام ١٩٤٨م[٢٤].

لقد كرست حركات النزوح ظاهرة التشتت وعمقتها، وأصبح هؤلاء اللاجئون والنازحون يشكلون جوهر الصراع العربي - الإسرائيلي. وقد تعثرت حتى الآن الحلول المقترحة لإعادة هؤلاء اللاجئين والنازحين إلى ديارهم، وحق العودة هو موضوع خلاف جذري بين طرفي الصراع العربي - الإسرائيلي.

لقد وجد هؤلاء أنفسهم في غفلة من الزمن وجهاً لوجه مع الغربة، موزعين على العديد من الدول التي انتشرت على حدود الوطن الأم، مما أوجد قاسماً مشتركاً من البؤس والشقاء والمعاناة الدائمة في ظل اليأس القانط من الرجوع إلى موطنهم الأصلي.

إن الجدول التالي رقم (٨) يظهر مناطق تواجد الفلسطينيين وتوزعهم وأعدادهم.

ومن الجدير بالذكر أنه بسبب المعدل العالي للتزايد السكاني زاد الفلسطينيون ثلاثة أضعاف ما بين النكبة وبين عام ١٩٨٢م. فقد قدر عدد الفلسطينيين عام ١٩٨٢ بـ ٤,٤٠ مليون نسمة، ويصل العدد اليوم إلى ما يقرب من ٨,٥ مليون نسمة.

يتركز قرابة نصف الفلسطينيين في حدود الأراضي الفلسطينية ما بين الضفة الغربية (١,٩) مليون وقطاع غزة (١,٢) مليون، وإسرائيل (قرابة مليون). ويأتي تمركز الفلسطينيين في الأردن في المرتبة الثانية، حيث أنهم أصبحوا يشكلون أكثر من نصف العدد الكلي للسكان. حيث يزيد عدد الفلسطينيين عن ٢,٥ مليون نسمة يتوزعون في المدن الكبرى وفي المخيمات، التي تنتشر في معظم مناطق البلاد. وقد زاد الفلسطينيون في كل من سوريا ولبنان حيث تشير التقديرات إلى أن هناك ٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني في سوريا، و ٤٧١,٥٠٠ فلسطيني في لبنان، ويتوزع هؤلاء على معظم المدن السورية واللبنانية مع تواجد ملموس حول دمشق في سوريا وإلى الجنوب من بيروت في لبنان.

وفي خارج هذا الإطار أدت الغربة إلى تشتيت الفلسطينيين في منطقة واسعة من العالم. وهناك العديد من هؤلاء في أقطار شبه الجزيرة العربية. وخاصة في المملكة العربية السعودية، وهناك عدد آخر هاجر إلى الولايات المتحدة وكندا. (انظر جدول ٨).

جدول رقم (٨)

التوزيع الجغرافي للفلسطينيين عام ١٩٨٢م وعام ١٩٩٨م

القطر	١٩٨٢	١٩٩٨	النسبة للسكان المحليين	النسبة الكلية
إسرائيل	٥٥٠٨٠٠	١,١٠٠,٠٠٠	١٤٪	١٢,٦
الضفة الغربية	٨٣٣٠٠٠	١,٩٠٠,٠٠٠	١٠٠٪	٢١,٧
قطاع غزة	٤٥١٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠	١٠٠٪	١٣,٧
الأردن	١,١٤٨,٣٣٤	٢,٥٠٠,٠٠٠	٥٣,٣٪	٢٨,٦
لبنان	٣٥٨٢٠٧	٤٧١,٥٠٠	١١,٥٪	٥,٤
سوريا	٢٢٢٥٢٥	٤٠٠,٠٠٠	٢,٥٪	٤,٥
العراق	٢٠٦٠٤	٤٥,٠٠٠	٠,٢٪	٠,٥
مصر	٤٥٦٠٥	٦٦,٠٠٠	٠,١٪	٠,٨
ليبيا	٢٣٧٥٩	٣٥,٠٠٠	٠,٧٪	٠,٤
السعودية	١٣٦٧٧٩	٣٣٤,٥٠٠	١,٦٪	٣,٨
الكويت	٢٢٩٧١٠	٣٥,٠٠٠	١,٧٪	٠,٤
الإمارات	٣٦٥٠٤	٩٨,٠٠٠	٣,٥٪	١,١٠
البحرين	٢١٠٠	٤,٥٠٠	٠,٦٪	٠,٠٥
قطر	٢٤٢٣٣	٤٨,٥٠٠	٩,٧٪	٠,٥
عمان	٥٠٧٠٦	١٥٠,٠٠٠	٦٪	١,٧
الولايات المتحدة	١٠٤٨٥٦	١٤٧,٠٠٠		١,٧
أخرى	١٤٠١١٦	١٩٦,٠٠٠		٢,٢٠
المجموع	٤,٤٤٨,٨٣٨	٨,٧٣١,٠٠٠	-	١٠٠٪

المصدر : أ - تقديرات ١٩٨٢ من (Drysdale, 1985 : 284)

ب - تقديرات ١٩٩٨ حسبت على أساس نسبة الفلسطينيين في مختلف الدول بناء على عدد سكان تلك الدول والمنشورة في World Pop Data Sheet, 1998

٢ : ٣ توزع السكان وكثافتهم:

يتوزع سكان الضفة الغربية على محافظات نابلس والقدس والخليل. وهي المناطق الإدارية الكبرى التي تنقسم إليها الضفة الغربية. ومن المعلوم أن

محافظة نابلس تضم ألوية جنين وطولكرم و نابلس. أما محافظة القدس فتضم ألوية بيت لحم وأريحا ورام الله والقدس، أما محافظة الخليل فتضم منطقة الخليل وما حولها. (انظر شكل ٤).

تتفوق منطقة نابلس على منطقتي القدس والخليل في عدد السكان. والسبب أن منطقة نابلس قليلة الارتفاع نسبياً إذا ما قورنت بمنطقتي القدس والخليل. وتنتشر بها الكثير من الوديان التي يتخللها النشاط الزراعي، إضافة إلى أنها أكبر محافظات الضفة الغربية مساحة، حيث تزيد مساحتها عن ٢٥٠٩كم٢. ويتركز السكان في محافظة نابلس بكثافة عالية في منطقة طولكرم ثم في منطقة جنين. أما محافظة القدس فتزيد مساحتها عن ٢٠٥٩كم٢ وأكثف مناطقها سكاناً هي منطقة القدس ورام الله. أما محافظة الخليل والتي تبلغ مساحتها ١٠٨٢كم٢ فيتركز سكانها في مدينة الخليل والقرى المحيطة بها. ويتوزع السكان على المحافظات الثلاث بنسبة ٤٤٪ لمحافظة نابلس و ٣٩٪ لمحافظة القدس و ١٧٪ لمحافظة الخليل.

تبلغ الكثافة العامة للسكان في الضفة الغربية عام ١٩٩٩م ٣٣٦ نسمة/كم٢. وإذا استعرضنا هذه الكثافة على مستوى المناطق المختلفة، نجد أنها تتباين بين منطقة وأخرى (انظر شكل ٤) غير أن أعلى الكثافات السكانية تقع في لواء القدس وطولكرم حيث تتراوح الكثافة بين ٣٥٠ - ٣٦٠ نسمة في الكيلو متر المربع. في حين تتراوح الكثافة بين ١٠٠ - ٢٠٠ نسمة في ألوية الخليل وبيت لحم ورام الله وجنين. أما أدنى الكثافات السكانية فنراها في لواء نابلس وأريحا. ويعود تناقص الكثافة السكانية في لواء نابلس إلى مصادرة الاحتلال الصهيوني للأراضي داخل اللواء لإنشاء مستوطنات صهيونية عليها. وقد ساهم هذا في حمل بعض المواطنين على الهجرة إلى

بعض الألوية الأخرى أو إلى الضفة الشرقية في الأردن. وعلى العموم يستوطن معظم سكان الضفة الغربية مدن القدس ورام الله ونابلس وطولكرم وجنين وبيت لحم والخليل وأريحا؛ لذا ترتفع نسبة سكان المدن وما يلحق بها من مخيمات، والتي أصبحت الآن أجزاء من هذه، المدن بحيث تصل هذه النسبة إلى ٩٠٪ من أجمالي السكان في الضفة.

يعتبر قطاع غزة من أكثر المناطق سكاناً في العالم؛ ففيه تكاثف سكاني رهيب، حيث يعيش ١,٢ مليون نسمة في رقعه من الأرض لا تتجاوز مساحتها ٣٦٠ كم٢، مما يجعل الكثافة العامة للسكان تزيد عن ٣٣٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع. وترتفع كثافة السكان حول مدينة غزة بمقدار يتفوق على كثافة السكان العامة في القطاع، بينما تقل كثافة السكان نسبياً في المنطقة الوسطى حول دير البلح، وفي المنطقة الجنوبية حول رفح إلى أقل من كثافة السكان العامة، وتصبح قريبة من كثافة السكان العامة حول مدينة خان يونس في المنطقة الجنوبية.

يستوطن اللاجئون منذ عام ١٩٤٨ مخيمات (دير البلح، المغازي، النصيرات، البريج، الشاطئ، جباليا) التي تستوعب قرابة ثلث إجمالي السكان، فيما يتوزع باقي السكان على مدن غزة وخان يونس ورفح والقرى الآخرى التي تنتشر في القطاع. وتبلغ نسبة سكان المدن في قطاع غزة ٩٤٪ من إجمالي سكان القطاع بشكل عام.

والخلاصة أن أنماط توزيع السكان وكثافتهم سواء في الوحدات الإدارية أو بحسب الريف والحضر ليس مرده إلى عوامل طبيعية تمنع من الاستيطان في منطقة أو تساعد عليه في منطقة أخرى. ولا إلى ظروف اقتصادية تجعل من أحد المناطق أكثر جذباً من المناطق الآخرى. وإنما يرتبط توزيع السكان

وانتشارهم على الرقعة الأرضية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالظروف التاريخية والسياسية التي أملتها القضية الفلسطينية، والحروب المتكررة التي كان يعقبها النزوح والتوطن في مناطق يتم اختيارها بحسب الحاجة والظروف الملحة التي تستلزم إيواء هؤلاء النازحين.

٢ : ٤ : التركيب السكاني:

٢ : ٤ : ١ التركيب النوعي:

تراوحت نسبة النوع خلال ربع القرن الماضي في الضفة الغربية ما بين حد أعلى بلغ ١٠١ ذكر لكل ١٠٠ أنثى، وحد أدنى بلغ ٩٩ ذكراً لكل ١٠٠ أنثى، مع ملاحظة انخفاض نسبة النوع خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨ اللذين انخفضت فيهما نسبة النوع بحيث تفوق عدد الإناث خلالهما على عدد الذكور. أما بقية الأعوام فقد شهدت تفوق عدد الذكور بنسبة طفيفة على عدد الإناث. ومع الأسف لم يتسن لنا الحصول على معلومات حديثه عن التركيب النوعي، غير أنه يمكننا القول إن التركيب النوعي للسكان في الضفة الغربية هو في حدود ١٠١ ذكر لكل ١٠٠ أنثى.

أما في قطاع غزة فمما يسترعي الانتباه أن نسبة النوع تعد من أكثر نسب النوع انخفاضاً، فهي تتراوح بين ٩٥ - ٩٩ ذكراً لكل مائه أنثى. ويمكن أن يعزى هذا الانخفاض إلى هجرة الذكور الشباب من القطاع وتهجير سلطات الاحتلال للعديد منهم.

٢ : ٤ : ٢ التركيب العمري:

الجدول التالي رقم (٩) يظهر بعض البيانات عن التركيب العمري لسكان

الضفة والقطاع. ومنه نلاحظ أن الهرم السكاني في الضفة الغربية وقطاع غزة يرتكز على قاعدة عريضة. وأن صغار السن ممن هم دون الخامسة عشرة يشكلون ٤٥ و ٥٠٪ من إجمالي سكان الضفة الغربية وقطاع غزة على التوالي، أما كبار السن ممن تزيد أعمارهم عن ٦٥ عاماً فيشكلون ٣ - ٤ ٪ من إجمالي السكان. وتصل نسبة السكان الذين تتراوح أعمارهم بين (١٥ - ٦٤) عاماً -وهؤلاء هم قوة العمل الخام في المجتمع- إلى ٤٧٪ و٥١٪ في كل من الضفة الغربية والقطاع. وهؤلاء هم الأشخاص الذين هم في سن العمل، وعليهم إعاله باقي أفراد المجتمع. غير أن نسبة كبيرة من هؤلاء لا تمارس عملاً.

جدول رقم (٩)

فئات العمر الرئيسية في الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٩٩م

فئات العمر	الضفة الغربية	قطاع غزة
أقل من ١٥ سنة	٤٥	٥٠
١٥ - ٦٤	٥١	٤٧
٦٥ فأكثر	٤	٣
الإجمالي	١٠٠	١٠٠

المصدر : World Pop. Data Sheet, 1999

٢ : ٤ : ٣ التركيب المهني:

يظهر لنا الجدول التالي رقم (١٠) نسبة قوة العمل الحقيقية في الضفة الغربية وقطاع غزة من الذكور والإناث خلال بعض السنوات. ومنه نستنتج أن ١٢٪ من إجمالي النساء القادرات على العمل في الضفة الغربية هن اللواتي

يعملن. أما بالنسبة للذكور فإن أقل من ٦٠٪ من إجمالي من هم في سن العمل هم الذين يعملون فعلاً، وفي القطاع فإن ٦٩٪ و ٧٪ من هم في سن العمل هم الذين يمارسون عملاً. أما الباقي فيصنفون أنهم عاطلون عن العمل؛ ولهذا نجد أن نسبة السكان النشيطين اقتصادياً تتراوح بين ٣٢ - ٣٧٪ فقط من إجمالي قوة العمل الخام (النظرية). وهذه النسبة يقع على كاهلها إعالة بقية أفراد المجتمع.

جدول رقم (١٠)

نسبة قوة العمل لدى الذكور والإناث في الضفة الغربية

السنة	الضفة الغربية		قطاع غزة	
	قوة العمل من الذكور	قوة العمل من الإناث	قوة العمل من الذكور	قوة العمل من الإناث
١٩٦٨	٥٢,٦	٧,٩	٥٩	٦,٤
١٩٧٥	٥٨,٦	١٢,٢	٦٤,٦	٤,١
١٩٨١	٥٤,٩	١٠,٧	٦٦	٣,٨
١٩٩٠	٥٩,٢	١٢,٦	٦٩	٦,٦٠

ومن جهة أخرى فإن نصف السكان الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عاماً يحتاجون إلى مزيد من الخدمات التعليمية والصحية، مما يفترض التوسع في التعليم وزيادة الخدمات الصحية - الوقائية والعلاجية - مما يضع عبئاً كبيراً على السلطات المحلية لتوفير مثل هذه الخدمات الضرورية، لمجتمع فتي يمثل أحد الشعوب الشابة في مجتمعنا العربي.

كان العمل في الزراعة هو الحرفة الأساسية لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، غير أن القطاع الزراعي شهد انحساراً كبيراً خلال ربع القرن الماضي،

فقد انخفض عدد العاملين في الزراعة من ٣٣٪ من إجمالي القوة العاملة عام ١٩٧١م إلى ٨٪ فقط عام ١٩٩٩م. وتناقص نسبة العاملين في قطاع الزراعة مرده إلى أن الكيان الصهيوني لا يشجع العرب على الزراعة لإضعاف ارتباط العرب بأرضهم. ومن جهة أخرى يحاول اليهود ربط المناطق المحتلة باقتصادهم عن طريق فتح أبواب العمل في قطاعات الصناعة والبناء والتشييد والخدمات. وهذه القطاعات غير متوفرة في الضفة والقطاع، الأمر الذي يستلزم تسخير هؤلاء العمال لخدمة المصانع والمباني والمرافق التي يشيدها اليهود. وتقدر العمالة العربية التي تعمل في مناحي الاقتصاد المختلفة في إسرائيل قرابة ٩٠ ألفاً يشتغل حوالي ٧٠٪ منهم في قطاعي البناء والتشييد، والباقي في قطاع الصناعة والزراعة والخدمات.

٢ : ٤ : ٤ التركيب الديني والعرقي : بعد عام ١٩٤٨م لم يبق في الضفة الغربية أو قطاع غزة أية عناصر يهودية، ومن المعروف أنه حتى قبل هذا التاريخ لم تكن تلك المناطق مسكونة من قبل العناصر اليهودية؛ لذا نجد أن الطابع العربي كان المميز لهاتين المنطقتين، ومن الجدير بالذكر أن غالبية السكان هم من المسلمين حيث تزيد نسبة المسلمين في الضفة الغربية عن ٩٤٪ وترتفع إلى ٩٩٪ في قطاع غزة، في حين يستوطن الضفة الغربية قرابة ٦٪ من المسيحيين العرب. وفي إبان الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع هاجر عدد كبير من هؤلاء إلى الولايات المتحدة وكندا، وقلّت نسبتهم كثيراً عما كانت عليه. غير أنه الفترة القادمة ستشهد المزيد من عودة هؤلاء بعد قيام الدولة الفلسطينية، ليتحملوا مع إخوانهم العرب تبعات المرحلة القادمة.

بعد احتلال إسرائيل لمنطقة الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م شرعت في توطين اليهود في هذه المنطقة، فقامت بإنشاء العديد من

المستوطنات اليهودية في الضفة والقطاع وبدأ برنامجاً عاجلاً للاستيطان من خلال إقامة المستوطنات، ليس فقط حول القرى العربية، ولكن أيضاً فيما بينها بقصد تفتيت المناطق العربية إلى خلايا منعزلة وصغيرة.

لقد وضع شارون وزير الدفاع الإسرائيلي السابق بالتعاون مع المنظمة الصهيونية للاستيطان خطة لاستيطان الضفة والقطاع. وقد أوصى شارون ببناء قطاع من المستوطنات من شمال الضفة إلى جنوبها، ويتقاطع هذا القطاع مع قطاع آخر شرقي - غربي ممتد من المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ غرباً إلى وادي الأردن شرقاً، وتتقاطع هذه المحاور الاستيطانية في مدينة آرييل شارون الجديدة، والتي يتوقع لها أن تستوعب ٥٠,٠٠٠ مسكن. لقد تركز الاستيطان على طول محور جنين، وعلى طول طريق نابلس - رام الله وفي مناطق القدس وبيت لحم والخليل. وتقوم المستعمرات اليهودية في كتل تحيط بالمدن والقرى العربية من جهة، وفي حزاميين طوليين يمتد أحدهما في غرب الضفة الغربية، بينما يمتد الثاني على طول نهر الأردن والبحر الميت فوق أقدام الجبال. وقد خطط اليهود لإقامة طريقين يقطعان الضفة من الغرب إلى الشرق. أحدهما يقطع الجزء الشمالي من الضفة الغربية متجهاً إلى وادي الأردن، والثاني يربط البحر الميت بإسرائيل. وهذه الطرق السريعة سوف تربط مناطق الضفة الغربية بإسرائيل، وتسهل عملية الاستيطان اليهودي من خلال السماح للمستوطنين بالذهاب إلى تل أبيب والعودة منها لممارسة أعمالهم.[٢٥]

لقد كثف اليهود مناطق الاستيطان حول القدس العربية، والتي كانت تعرف باسم القدس الشرقية. فبعد الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية قامت إسرائيل بضم القدس والمناطق المحيطة بها، وصادرت كمية كبيرة من الأراضي

حولها. وقد نالت القدس مزيداً من الاهتمام من حيث زرع المستوطنات اليهودية حولها. فقد أقيمت حلقة من المستوطنات في الجبال المحيطة بالمدينة المقدسة، والتي تشكل نوعاً من السور الخارجي استوطن بها ما يزيد عن ١٠٠,٠٠٠ يهودي. وبعد فترة وجيزة أقامت سوراً آخر من المناطق الصناعية بحيث يمكن القول إن هذه المستوطنات قد عزلت المدينة المقدسة عن ظهيرها في الضفة الغربية.[٢٦] (انظر شكل ٥).

لقد كانت المحصلة النهائية إقامة أكثر من ٤٠٠ مستوطنة يهودية يسكنها أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة في الضفة الغربية، أما في قطاع غزة فقد أقام اليهود ما يزيد عن ٢٢ مستوطنة بهدف فصل غزة عن رفح. ويهدف الكيان الصهيوني إلى أحاطه التجمعات السكانية العربية في غزة ودير البلح وخان يونس بالمستعمرات اليهودية لإحكام السيطرة عليها، ووضعها تحت المراقبة الدائمة بحجة الأغراض الأمنية.

لقد قامت دولة إسرائيل باستغلال بعض القوانين لصالح الاستيلاء على مواقع هذه المستعمرات، مثل قانون امتلاك الأراضي للمصلحة العامة، وقانون الدفاع والطوارئ، وقانون مصادرة الأملاك لضرورات أمنية وعسكرية، وقانون أملاك الغائبين. والنتيجة إقامة مئات المستوطنات التي تحيط بالقرى والمدن العربية من كل جانب بهدف تطويقها وعزلها عن بعضها البعض بهدف تمزيق وحدتها وبعثرة سكانها[٢٧].

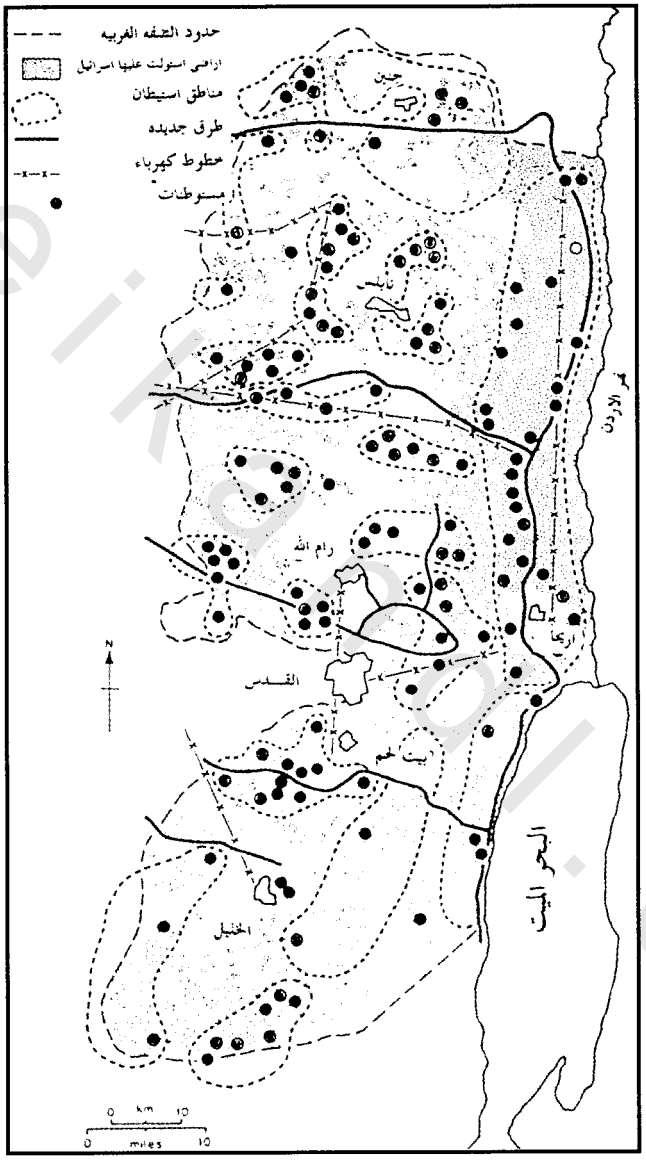

شكل (٥) المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية

الهوامش

١ - صلاح الدين البحيري: جغرافية فلسطين ضمن كتاب جواد الحمد (محرر): المدخل إلى القضية الفلسطينية (الطبعة الخامسة) مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن ١٩٩٩م ص ١٥.

2 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, The Middle East and North Africa, Oxford University Press, New York, 1985 PP. 204 - 205.

٣ - نظام بركات : قيام دولة إسرائيل بحث ضمن كتاب : جواد الحمد (محرر) : المدخل إلى القضية الفلسطينية، مرجع سابق ص ٢٠١ - ٢٠٢.

٤ - المصدر نفسه ص ٢٠٤ - ٢٠٧.

5 - Volney, C. E. , Travels in Syria and Egypt, 1783 - 1785 P 334.

٦ - محمد السيد غلاب ومحمد صبحي عبد الحكيم : السكان ديمغرافيا وجغرافيا ط (٤) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨ ص ٢٣٥.

7 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P. 270.

8 - ibid. P. 282.

9 - ibid. p. 271.

١٠- حسن عبد القادر صالح: سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا، دار الشروق عمان ١٩٨٥، ص ٤٨ - ٤٩.

11 - World Population Data Sheet, 1995 - 1999.

١٢- الموسوعة العربية ص ٥٥٣.

١٣- البيانات الإحصائية الملحقة ببرنامج Arcview على الكمبيوتر للأعوام ١٩٦٥ - ١٩٨٩م.

١٤- الموسوعة الفلسطينية ص ٣٩٤ و ٦٣٨.

15 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P. 205 - 208.

١٦- إبراهيم أبو جابر : المجتمع العربي في إسرائيل ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) المدخل إلى القضية الفلسطينية، مرجع سابق ص ٤٢٧ - ٤٣٢.

17 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P. 285.

18 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P.209.

19 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P. 287.

٢٠- حسن عبد القادر صالح : مرجع سابق ص ٥٠.

٢١- World Population Data Sheet, 1995 - 1999. وكذلك حسن عبد القادر صالح مرجع سابق ص ٥٠ - ٥٨.

22 - World Population Data Sheet, 1995 - 1999.

٢٣- تيسير عمرو : مشكلة اللاجئين والنازحين الفلسطينيين ضمن كتاب جواد الحمد مرجع سابق ص ٥٩٣ س

٢٤ - المرجع السابق ص ٥٩٤ - ٥٩٨.

25 - Alasdair Drysdale and Gerald Blake, P. 296.

٢٦- إبراهيم أبو جابر وآخرون : قضية القدس ومستقبلها ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) مرجع سابق ص ٥٣٩ - ٥٨٤.

٢٧- حسن عبد القادر صالح : مرجع سابق ٧٧ - ٧٨.

المراجع

(١) أبو جابر، إبراهيم: المجتمع الغربي في إسرائيل، بحث ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الطبعة الخامسة ١٩٩٢م، ص ٤٥٧ - ٤٦٤.

(٢) أبو جابر، إبراهيم والحمد، جواد وسمعان، سمير: قضية القدس ومستقبلها بحث ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) المدخل إلى القضية الفلسطينية مرجع سابق ص ٥٣٩ - ٥٩٢.

(٣) بحيري، صلاح الدين: أرض فلسطين والأردن - طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤م .

(٤) بحيري، صلاح الدين: جغرافية فلسطين ضمن كتاب جواد الحمد (محرر): المدخل إلى القضية الفلسطينية، الطبعة الخامسة، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ١٩٩٩ .

(٥) بركات، نظام: الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين، مركز البحوث بجامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٥م.

(٦) بركات، نظام: قيام دولة إسرائيل بحث ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) المدخل إلى القضية الفلسطينية مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الطبعة الخامسة في ١٩٩٩ ص ٢٠١ - ٢٠٨ .

(٧) بركات، نظام : النظام السياسي في إسرائيل، بحث ضمن كتاب جواد الحمد مرجع سابق ص ٢٠٩ - ٢٣٤.

(٨) جامعة الدول العربية : الفلسطينيون في الوطن العربي، دراسة في أوضاعهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٩) جامعة الدول العربية: تقرير عن الهجرة اليهودية من دول أوربا الشرقية إلى إسرائيل وخاصة هجرة يهود رومانيا، القاهرة (د. ت).

(١٠) الجعفري، وليد: المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٠م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م

(١١) ربابعه، غازي: القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفرقان ط٢، عمان في ١٩٩٣م.

(١٢) السيد، محمد إسماعيل: مدى مشروعية أسانيد السياسة الإسرائيلية في فلسطين، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.

(١٣) صالح، حسن عبد القادر: سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥م.

(١٤) عمرو، تيسير: مشكلة اللاجئين والنازحين الفلسطينيين بحث ضمن كتاب جواد الحمد، مرجع سابق ص ٥٩٣ - ٦١٤.

(١٥) غلاب، محمد السيد وعبدالحكيم محمد صبحي: السكان ديموغرافيا وجغرافيا، الطبعة الرابعة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

(١٦) فهمي، وليم : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

(١٧) قاسم، عبد الستار : الحروب العربية - الإسرائيلية، بحث ضمن كتاب جواد الحمد مرجع سابق ص ٢٥٧ - ٣١٨.

(١٨) قورة، نزية : شبح الصهيونية الديموغرافي، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٩٥ تشرين أول ١٩٧٩ ص ١١ - ٢٠ .

(١٩) مخادمه، ذياب : منظمة التحرير الفلسطينية، بحث ضمن كتاب جواد الحمد، مرجع سابق ص ٣١٩ - ٣٤٤.

(٢٠) مصالحة، عمر: السلام الموعود : الفلسطينيون من النزاع إلى التسوية - ترجمة وديع أسطفان وماري طوق، دار الساقي، بيروت ط١، ١٩٩٤م.

(٢١) المسيري، عبد الوهاب: الحركه الصهيونية ومشروعها السياسي ضمن كتاب جواد الحمد (محرر) المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ١٩٩٩م ص ١٠٥ - ١٦٠.

(٢٢) الموسوعة العربية (١٩٩٨ - ١٩٩٩م) منشورات الرياض، ١٩٩٨م.

(٢٣) الموسوعة الفلسطينية : هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤م.

(٢٤) نوفل، أحمد سعيد : المؤامرة الاستعمارية - الصهيونية على فلسطين بحث ضمن كتاب جواد الحمد مرجع سابق، ١٩٩٩م ص ١٦١ - ٢٠٠.

(25) Drysdale, A and Blake, G , The Middle East and North Africa : A political Geography, Oxford University Press, New York, 1985

(26) Population Reference Bureau, Word Population Data Sheet, 1990 - 1999.

* لقد جرى توقيع (٦) اتفاقات خلال (٦) أعوام بين ١٩٩٣ و١٩٩٩ وهذه الاتفاقات هي:

١ - اتفاقية أوسلو ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م وقعت في حديقة البيت الأبيض.

٢ - اتفاقية غزه - أريحا في مايو ١٩٩٤م ووقعت في القاهرة وعاد بموجب هذه الاتفاقية ياسر عرفات إلى غزة في يوليو ١٩٩٤م.

٣ - اتفاقية أوسلو (٢) في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥م وقعت في البيت الأبيض.

٤ - اتفاقية ١٥ يناير ١٩٩٧م وقعت في البيت الأبيض.

٥ - اتفاقية واي ريفر في ٢٣ أكتوبر ١٩٩٨م وقعت بالقرب من واشنطن في منتجع واي ريفر.

٦ - اتفاقية واي ريفر الثانية في ٤ سبتمبر ١٩٩٩م وقعت في واي ريفر بالقرب من واشنطن.